



This book is provided in digital form with the permission of the rightsholder as part of a Google project to make the world's books discoverable online.

The rightsholder has graciously given you the freedom to download all pages of this book. No additional commercial or other uses have been granted.

Please note that all copyrights remain reserved.

About Google Books

Google's mission is to organize the world's information and to make it universally accessible and useful. Google Books helps readers discover the world's books while helping authors and publishers reach new audiences. You can search through the full text of this book on the web at <http://books.google.com/>

العمل الصالح

جزاءه. أنواعه. أفضله

بقلم
فضيلة الأستاذ
أحمد عز الدين البيانوني
رحمه الله تعالى



دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

مِنْ هَدْيِ الْإِسْلَامِ

١١

الْعَمَلُ الصَّالِحُ

بمقام

فضيلة الأستاذ

أحمد عزالدين البياضي

رحمته الله تعالى

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

كافة حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة

للمنشر

دار السالار للطباعة والنشر والتوزيع

لصاحبها

عبدelfادرمحمود البكار

الطبعة الثالثة

1419 هـ - 1999 م

رقم الإيداع 86 / 4226

دار السالار

القاهرة - مصر 120 شارع الأزهر ص ب 161 الغربية
هاتف 5932820 - 2704280 - 2741578 (202) فاكس 2741750 (202)

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

التّعريفُ بالمؤلف

هو : الشيخ أحمد عز الدين البیانونی ، الملقب بأحمد الصیاد . ابن الشيخ عیسی البیانونی رحمهما اللّٰه .

والبیانونی : نسبة إلى قرية « بیانون » التي تقع شمالي مدينة حلب على بعد خمسة عشر (كيلو متراً) تقریباً وهي مسقط رأس والده الشيخ عیسی رحمه اللّٰه تعالی .

ولد الشيخ أحمد عام 1330 هـ - 1913 م في مدينة حلب ، واستقر مقامه فيها مع والده رحمه اللّٰه تعالی ، وكان والده من كبار علماء البلاد المشهورین بالعلم والتقوى والصلاح .

عمل المؤلف في حقول التربية والتعليم المختلفة ، حتى طلب الإحالة إلى التقاعد عام 1968 م . كان مهتماً بالدعوة الإسلامية عامة ، والتربية العملية خاصة ، آخذاً بالعزائم حريصاً على الأمر بالمعروف والنهي عن المنکر ، حتى عرف بذلك في نفسه وأسرته وإخوانه ومحبيه ...

انطلق عام 1965 م في تكوين مدرسة تربوية خاصة نسبت إليه ، وعرفت فيما بعد باسم « جماعة أبي ذر »

نسبة إلى مكان تأسيسها ، حيث نشأت في جامع أبي ذر في حي الجبيلة بحلب .

اهتمت هذه الجماعة بالتربية الإسلامية الدقيقة ، وعينت بتنشئة الشباب فيها على القدوة العملية الصالحة ، في مجالات الحياة كافة .

كما عني (رحمه الله تعالى) بكتابة ونشر الكتب الإسلامية ذات الحجم الصغير ، وألف في ذلك سلسلة العقائد ، وسلسلة العبادات ، وسلسلة من هدي الإسلام ، حتى زادت مؤلفاته فيها على عشرين كتيباً . وقد لاقت مؤلفاته هذه قبولاً واسعاً في مختلف المستويات والبلدان نظراً لما تمتاز به من أسلوب سهل ميسر ، ومادة علمية نافعة .

توفي رحمه الله يوم الجمعة 17 ذي الحجة 1395 هـ الموافق 19 كانون الأول 1975 م ودفن في مقبرة الأعرابي في مدينة حلب ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة ، وأقر عينه بالشواب الجزيل ، والأجر المستمر إن شاء الله إلى يوم الدين .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا
عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا...﴾ .

(آل عمران : 30)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله العليم الحكيم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، صاحب الخلق العظيم والشرع القويم ، وعلى آله وأصحابه والتابعين ، وتابعيهم على السنن السوي والنهج الكريم .

وبعد ؛ فإن الله تعالى بحكمته خلق الخلق ، وأرسل الرسل ، وشرع الشرائع ؛ ليتعرف إلى عباده بنعمته ، ويتفضل عليهم برحمته ، وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة ؛ ليعرفوه ويعبدوه .

وفي هذا قال الله تبارك وتعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ .

(الذاريات : 56)

شرع الله تعالى عبادات حكيمة ، تزكي النفوس وتسمو بالأرواح .

وهدى إلى أخلاق كريمة ، يعيش الناس بها إخوة متحايين .

ولقد مرّت الأمة الإسلامية ، بعصور ذهبية رائعة ، كان شعارها الإيمان والعمل الصالح ، فسمت إلى أعلى مراتب الإنسانية الرفيعة ، وكانت المثل الأعلى في الخلق الكريم والمجد الرفيع .

وكان الناس في تلك العصور ، ترتاح نفوسهم إلى الطاعة والعمل الصالح ، كما ترتاح نفوسنا اليوم ؛ إلى المأكل الشهوي ، والعذب البارد الروي .

ولقد سعد سلف هذه الأمة ، بالأعمال الصالحة ، ونعموا بالأخلاق الكريمة ، وسعد بهم العالم أجمع ، حين انتشروا فيه انتشار العافية في الجسد المريض ، وحلّوا في بقاعه حلول المطر في الأراضي العطشى الجديدة ، وأناروا للناس سبل الحياة السعيدة الرغيدة ، وهدّوهم فيها إلى معارج الكمال الإنساني المنشود .

فكانوا شمس الهدى الساطعة ، والمنار الهادي لكل

بصير .

وطيئوا بقاع الأرض ، بما نشره فيها من الهدى الكريم ،
ورسموه من السير المستقيم ، حتى كانوا طيبيها العابق
وزهرها الفوّاح .

وصحف التاريخ ملأى بالأعمال الجليلة ، والآثار الباهرة .
يحدثنا التاريخ : أنهم كانوا عُتَبَاءًا بالليل ، فرسانًا
بالنهار .

لم يتركوا ميدان سبق ، إلا استبقوا إليه فسبقوا .
ولا مجال خير ، إلا أسرعوا إليه وابتدروا .
ولا موطن بذل ، إلا جادوا فيه وبذلوا ..
وبهذا قطفوا ثمراتِ يانعة من عملهم الصالح ، فحازوا
معيّة الله الخاصة :

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ .

(النحل : 128)

وكسبوا محبة الله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ . (البقرة : 195)

وتعرّضوا لرحمة الله تعالى :

﴿ وَلَا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .
(الأعراف : 56)

وعاشوا في رعاية الله تعالى وهدايته .
﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ۝ هُدًى وَرَحْمَةً
لِّلْمُحْسِنِينَ ﴾ .
(لقمان : 2 ، 3)

ونعموا بالوعد الحسن والبشرى الكريمة ، في قوله تعالى :
﴿ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .
(الحج : 37)

وسينالون في الآخرة مثوبة الله تعالى ، حين يقال لهم :
﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي
الْمُحْسِنِينَ ﴾ .
(الرسائل : 43 ، 44)

سعد السلف الصالح بما هُتدوا إليه من العمل الصالح ،
وذاقوا حلاوة الإيمان ، وفازوا برضا الرحمن ، وشعروا في
أنفسهم بسعادة لا تدانيها سعادة ، حتى قال قائلهم :

لو علم الملوك ما نحن فيه من النعيم ، لجالدونا عليه بالسيف .
ثم خلف من بعدهم خلف ورثوا هذا الأدنى ، فأخلدوا
إلى الدنيا ، واستهوتهم اللذات ، وانصرفوا عن الطاعات ،

واسترسلوا في الشهوات ، وهاموا على وجوههم في طلبها ،
فانحطوا إلى مستوى البهيمة ، وفقدوا معاني الإنسانية ،
وغلبت عليهم المادية الطاغية ، فارتطموا في هوة الشقاء ،
وأخذوا يتلمسون طريق النجاة ، تلمس الحائر الضال ، وراء
الأمم المادية التائهة ... فلم يجدوه ، وحسبوه في تقليد
أجنبي أعمى ، ومظاهر براقة خادعة ، وأماني سرايية كاذبة .
فافتقروا بعد غنى ، وذلّوا بعد عز ، وضعفوا بعد قوة ،
وشقّوا بعد سعادة وهناءة .

ولا سبيل إلى النجاة ، إلا بالعودة إلى دين الله الحق ،
والاهتداء بشرعه الحق ، والعمل الصالح الذي دعا إليه ،
والخلق الرفيع الذي حضّ عليه .

فالإنسان إنسان بروحه السامي ، وصلته الوثيقة الصادقة
بالله عز وجل ، وإقامة شريعة الله في الأرض ، وإحياء العمل
الصالح والخلق الكريم .

من أجل هذا ، أخرجت هذه العُجالة في العمل
الصالح ، وما يتفرع عنه من ثمرات عاجلة في الدنيا ،
ومثوبات باقية في الآخرة .

وَأَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَنْفَعَ بِهَا ، وَيُحْسِنَ عَمَلِي ،
وَيُوفِّقَنِي بِمَرْضَاتِهِ .

وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ .

في 1 ربيع الأول 1395 هـ .

أَحْمَدُ عَزَّ الدِّينَ الْبَيَّاتُونِي

العمل الصالح

تمهيد :

ذكر العمل الصالح في القرآن الكريم بين دعوة إليه ،
وحضّ عليه ، وثناء على أهله ، قريباً من مائة مرة .

من ذلك قوله تعالى :

﴿ وَالْعَصْرَ ۝ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ۝ ﴾ . (سورة العصر)
﴿ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ۝ ﴾ .

(الفرقان : 71)

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ ﴾ .

(النحل : 97)

وكذلك جاءت أحاديث كثيرة في الحض على العمل
الصالح ، منها :

« بادروا بالأعمال الصالحة ، فستكون فتن كقطع الليل

المظلم ، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمناً
ويصبح كافراً ، يبيع دينه بعرض من الدنيا » . (مسلم)
« بادروا بالأعمال سبعاً : هل تنتظرون إلا فقراً منسياً ،
أو غنىً مطغياً ، أو مرضاً مفسداً ، أو هرمًا مُفنداً - أي
موقعًا في الفند وهو كلام المخرف - أو موتًا مجهزًا ، أو
الدجال فشرُّ غائب يُنتظر ، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر » .
(الترمذي)

« يتبع الميت ثلاثة : أهله وماله وعمله .

فيرجع اثنان ويبقى واحد ، يرجع أهله وماله ، ويبقى
عمله » . (البخاري ومسلم)

وفي الحديث القدسي : « ما تقرب إليَّ عبدي بشيء
أحب إليَّ مما افترضْتُ عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ
بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع
به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله
التي يمشي بها ، وإن سألني أعطيته ، ولئن استعاذني
لأُعِيذَنَّهُ » . (البخاري)

« يا عبادي ! إنما هي أعمالكم ، أحصيتها لكم ، ثم

أوفيكُم إياها . فمن وجد خيرًا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه » . (مسلم)

« يا ابن آدم ! إنما هي أربعة : واحدة لي ، وواحدة لك ، وواحدة بيني وبينك ، وواحدة بينك وبين خلقي .

فأما التي لي : فأَن تعبدني لا تشرك بي شيئًا .

وأما التي لك : فعملك أجزيك به أحوج ما تكون إليه .

وأما التي بيني وبينك : فعليك الدعاء وعليَّ الإجابة .

وأما التي بينك وبين خلقي : فأَن تأتي الناس بما تحب أن يأتوك به » . (الطبراني)

* * *

الأمر بالطاعة والاحض عليها

خلق الله تعالى الخلق ، وأمرهم بطاعته ، ونهاهم عن معصيته .

ومن شأن الإله أن يأمر وينهى ، وعلى العبد الامتثال والطاعة .

وقرن الله تعالى الأمر بطاعته بالأمر بطاعة رسوله ﷺ :
﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ . (الأنفال : 1)
وجعل الله الطاعة علامة الإيمان ، والمعصية سمة الكفر
والكافرين :

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا .. ﴾ . (المائدة : 92)
وعلق الرحمة على طاعته وطاعة رسوله :

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ .
(آل عمران : 132)

وجعل مثوبة الطاعة الفوز بالجنة والنجاة من النار :
﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْفَائِزُونَ ﴾ . (النور : 52)

﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ .
(النساء : 13)

﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ .
(النساء : 69)

* * *

التحذير من المعصية

كما وعد الله تعالى على الطاعة الرحمة والمثوبة والرضا والجنة ، فإنه أوعد من اقترف المعصية السخط والعذاب ، ووصف صاحبها بالضلال المبين :

﴿ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾ .

(الأحزاب : 36)

وإذا اقترنت المعصية بالكفر ، أدت في الآخرة إلى الخلود في العذاب المهين :

﴿ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ .

(النساء : 14)

﴿ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴾ .

(الجن : 23)

طاعة الرسول من طاعة الله

لما كان الرسول ﷺ مبلّغاً عن ربه عز وجل ، كان أمره

من أمر الله ، ونهيه من نهى الله ، وطاعته من طاعة الله :
﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ... ﴾ .

(النساء : 80)

﴿ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ... ﴾ . (النور : 54)

وفي الحديث الشريف : « من أطاعني فقد أطاع الله ،
ومن عصاني فقد عصى الله ... » . (البخاري ومسلم)
« كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى ! قالوا : ومن أبى
يا رسول الله ؟ ! قال : من أطاعني دخل الجنة ، ومن
عصاني فقد أبى » . (البخاري)

شعار المؤمن الطاعة

إذا صدق إيمان العبد بالله عز وجل ، وبرسوله ﷺ ، لم
يَسْغُه إلا المبادرة لامتنال أمرهما ، والبعد عن نهيهما .

وإذا صدق إيمان العبد بمثوبة الله تعالى وجنته ، سعى
إليها سعيها ، وعمل بما يقربه إليها ، وإذا صدق إيمانه بعذاب
الله وناره ، هرب من المعاصي التي توصله إليها .

فشعار المؤمن السمع والطاعة ، والعمل للجنة ، والهرب

من النار :

﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكِتَابِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ .
(البقرة : 285)

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .
(النور : 51)

ويذكر الله تعالى عباده المؤمنين نعمته عليهم في شرعه لهم هذا الدين العظيم ، وإرساله هذا النبي الكريم ، وما أخذ عليهم من العهد والميثاق في مبايعته على متابعتة ، ومناصرتة ، ومؤازرتة ، والقيام بدينه ، وإبلاغه عنه ، وقبوله منه :

﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاتَّقُوا بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ .
(المائدة : 7)

وفي الحديث الشريف :

« بايعنا رسولَ الله ﷺ على السمع والطاعة في

العسر واليسر ، والمنشط والمكره ... » .

(البخاري ومسلم وغيرهما)

المنشط : الأمر الذي ينشط له المرء ، ويخف إليه ، ويؤثر فعله .

والمكره : الأمر الذي يكرهه ، ويتناقل عنه .

المطيع يستحق الرحمة

أقرب الناس إلى رحمة الله العامل بطاعة الله ، البعيد عن معصية الله .

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى فقال عز وجل :

﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

(الأعراف : 56)

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ يُؤْتُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ
الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ .

(التوبة : 71)

النفس أمارة بالسوء

قال الله تعالى على لسان امرأة العزيز حين اعترفت
بمراودة يوسف عليه السلام عن نفسه :

﴿ وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ... ﴾ .
(يوسف : 53)

ولهذا كانت مخالفة النفس فضيلة :

قال الله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ
الْهَوَىٰ ۖ ۝ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ . (النازعات : 40)

وقال بعض السلف : مخالفة النفس رأس العبادة .

النفس الأمارة بالسوء : هي الداعية إلى الممالك ، المتبعة
للهموى ، المتهممة بأصناف السوء .

من لم يتهم نفسه على دوام الأوقات ، ولم يخالفها في
جميع الأحوال ، ولم يجزها إلى مكروهاها في جميع أيامه
كان مغرورًا ، ومن نظر إليها باستحسان شيء منها فقد
أهلكها .

ما عُبد الله تعالى بشيء مثل مخالفة النفس والهوى .
أصل كل معصية وغفلة وشهوة : الرضا عن النفس .
وأصل كل طاعة ويقظة وغفة : عدم الرضا منك عنها .

ولأن تصحب جاهلاً لا يرضى عن نفسه ، خير لك من
أن تصحب عالماً يرضى عن نفسه .

ورحم الله البوصيري إذ يقول :

والنفس كالطفل إن تهمله شبَّ على

حب الرضاع وإن تطفمه ينفطم

وخالف النفس والشيطان واغصهما

وإن هما محضاك النصح فاتهم

من أجل هذا كان من الواجب دوام تعهّد النفس
ومراقبتها ومحاسبتها .

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا ، وزنوها قبل أن توزنوا .

وقال بعض السلف : تعهّد نفسك في ثلاثة مواضع :

إذا عملت ، فاذا ذكر نظر الله تعالى إليك ، وإذا تكلمت فاذا سمع الله تعالى إليك ، وإذا سكّ فاذا علم الله تعالى فيك .

الشيطان يأمر بالسوء

قال الله تعالى في قصة آدم عليه السلام وحواء :

﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا ⁽¹⁾ فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ... ﴾ .

(البقرة : 36)

وقال تعالى : ﴿ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٣٦﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا

(1) أي عن الجنة .

نَعْلَمُونَ ﴿١٦٨﴾ . (البقرة : 168 ، 169)

فالشیطان یوسوس للإنسان ، ویأمره بالسوء ، ویوقعه فی الزلل ...

ولهذا أعلن الله تعالى للإنسان عداوة الشیطان ، لیحذره ویخالفه ویتعوذ بالله منه .

وفي الحديث القدسي : « إني خلقت عبادي خُنَفَاء - أي على فطرة الإسلام - فجاءتهم الشياطين ، فاجتالتهم - أي ذهبت بهم - عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم » . (مسلم)

وفي الحديث الشريف : « إن للشیطان لِمَةً بَابن آدم ، وللملک لمة :

فأما لمة الشیطان ، فإيعاد بالشر ، وتكذيب بالحق .
وأما لمة الملک ، فإيعاد بالخیر ، وتصديق بالحق ، فمن وجد ذلك فلیعلم أنه من الله فلیحمد الله .

ومن وجد الأخرى ، فلیتعوذ من الشیطان » .

ثم قرأ رسول الله ﷺ :

﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا ... ﴾ (البقرة : 268) ،
(والحديث رواه الترمذي والنسائي) .

* * *

التحذير من طاعة أهل الضلال

أهل الكفر لا يدعون إلا إلى كفر ، وأهل الضلال لا يهدون إلا إلى ضلال ، وأهل الباطل مولعون بالدعوة إلى الباطل .

لهذا حذر الله تعالى عباده المؤمنين من طاعة هؤلاء ، فقال :

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ .

(آل عمران : 149)

﴿ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُخَوِّنَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجْدِلُوهُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ .

(الأنعام : 121)

﴿ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ۖ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ .

(الشعراء : 151 ، 152)

﴿ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعِ أَذْنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ .

(الأحزاب : 48)

وقد نهى الله تعالى الإنسان أن يطيع أبويه في معصية أو

كفر ، مع عظم حقهما عليه ، فقال :

﴿ وَوَضِعْنَا الْإِنْسَانَ بِالْأَيْدِي حُسْنًا وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ... ﴾ . (العنكبوت : 8)

وقال تعالى في وصف مشهد من مشاهد القيامة على

لسان الكافرين الذين أضلهم كبارؤهم وزعمائهم :

﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَتُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ .

(الأحزاب : 67 ، 68)

الحسن ما استحسنه الشرع

كل ما أمر به الإسلام وحضّ عليه ورغب فيه حسن جميل .

وكل ما نهى عنه ، وحذّر منه سيئ قبيح .

وقد تمرض القلوب ، وتضلّ العقول ، وتعتلّ الأذواق ، فيرى أصحابها السيئ حسناً ، والحسن قبيحاً .

قال الله تعالى منذّداً على هؤلاء ، ذامّاً لهم :

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٢٢﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَبْعُ مِائَةٍ فِي

الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٣﴾ .

(الكهف : 103)

﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَدَيْهِ مِن زِينَةٍ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ
وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ . (محمد : 14)

﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ
مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ... ﴾ . (فاطر : 8)

وقد صدق على أمثال هؤلاء قول الشاعر :

يقضى على المرء في أيام محنته

حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن

ومن كلام السلف الصالح رضي الله عنهم :

كان الناس في الجاهلية يتبعون ما تستحسنة عقولهم
وأهوائهم ، فجاء النبي ﷺ فردَّهم إلى الشريعة والاتباع ،
فالعقل السليم هو الذي يستحسن ما استحسنة الشرع ،
ويستقبح ما استقبحه الشرع .

الاعتصام بالكتاب والسنة

لابد في العمل الصالح أن يكون موافقاً لما جاء في كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكُمْ الرُّسُلَ فَخِذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَأَتْنَهُوا ... ﴾ . (الحشر : 7)

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ... ﴾ . (آل عمران : 31)

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ .

(الأحزاب : 21)

﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ . (النور : 63)

وفي الحديث الشريف : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة » .

(أبو داود والترمذي)

النواجذ : الأضراس .

وقوله : عضوا عليها بالنواجذ : مثل في شدة الاستمساك بالأمر .

ومحدثات الأمور : ما لم يكن معروفاً في كتاب ولا سنة ولا إجماع . والبدعة : الابتداع فإن كان في خلاف ما أمر الله تعالى به ، ورسوله ﷺ ، فهو منكر مذموم مردود .

وإن كان واقعاً تحت عموم ما ندب الله تعالى إليه ، وحضّ عليه ، أو رسوله ﷺ ، فهو ممدوح ، وإن لم يكن مثاله موجوداً .

ولا يجوز أن يكون ذلك في خلاف ما ورد الشرع به ؛ لأن رسول الله ﷺ قد جعل له في ذلك ثواباً ، فقال :

« مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً ، كَانَ لَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا » . (مسلم)

وقال في ضده :

« من سنّ سنة سيئة ، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها ... » . (مسلم)

وذلك إذا كان في خلاف ما أمر الله تعالى به ، ورسوله ﷺ . ويعضد ذلك قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في صلاة التراويح ، حين جمع الناس فيها على إمام واحد : نِعْمَتِ البدعة هذه ، لما كانت من أفعال الخير ، وداخله في المدح ، سماها بدعة ومدحها .

وهي وإن كان النبي ﷺ قد صلاها ، إلا أنه تركها ، ولم يحافظ عليها ، ولا جمع الناس عليها ، فمحافظة عمر رضي الله عنه عليها ، وجمعه الناس لها بدعة ، لكنها بدعة محمودة ممدوحة .

هذا ، وإن طاعة الرسول ﷺ من طاعة الله .

قال تعالى : ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ .

(النساء : 80)

وقد شرع الله تعالى في القرآن الكريم ما شرع ، وأمر بما أمر ، ونهى عما نهى ، وكذلك رسول الله ﷺ ، شرع في السنة ما شرع ، وأمر بما أمر ، ونهى عما نهى .

وفي الحديث الشريف : « ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني ، هو متكئ على أريكته ، فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله ، فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه ، وما وجدنا فيه حراماً حرّمناه . وإن ما حرّم رسول الله كما حرّم الله » . (أبو داود والترمذي)

- « إن مثلي ومثل ما بعثني الله به ، كمثّل رجل أتى قومه فقال :

إني رأيت الجيش بعيني ، وإني أنا النذير العريان ، فالتجاء النجاء ، فأطاعه طائفة من قومه ، فأدلجوا - أي ساروا الليل كله - فانطلقوا على مهلهم فنجوا . وكذّبت طائفة منهم ، فأصبّحوا مكانهم فصبّحهم الجيش فأهلكهم ، واجتاحهم .

فذلك مثل من أطاعني ، واتبع ما جئت به ، ومثل من عصاني ، وكذّب ما جئت به من الحق » .

(البخاري ومسلم)

والنذير العريان : الذي لا ثوب عليه ، وخصّ العريان ؛ لأنه أبين في العين . وأصل هذا أن الرجل منهم كان إذا أُنذر

قومه ، وجاء من بلد بعيد ، انسلخ من ثيابه ، ليكون آيين
للعين .

- وفي الحديث الشريف : « مَثَلِي ومثلكم كمثلي رجل
أوقد نارًا ، فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها ، وهو يَذُبُّهن
عنها - أي يمنعهن من الوقوع في النار - وأنا آخذٌ بِحِجْزِكُم
عن النار ، وأنتم تُقْلِتُون من يَدَيَّ » . (مسلم)
والجنادب : نحو الجراد والفراش المعروف الذي يقع في
النار .

والْحُجْزُ : جمع حُجْزَةٍ ، وهي معقِد الإزار والسراويل .
- وفي الحديث الشريف : « مَنْ أَحْدَثَ في أَمْرِنَا هذا ما
ليس منه فهو رَدٌّ » (البخاري ومسلم وأبو داود) . أي مردود
لأنه مخالف للسنة .

- وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول : من
كان مُسْتَتًّا - أي مُتَّبِعًا للسنة - فليستنَّ بمن قد مات ، فإن
الحي لا تُؤْمَن عليه الفتنة ، أولئك أصحاب محمد ﷺ ،
كانوا أفضل هذه الأمة : أَبْرَها قلوبًا ، وأعمقها علمًا ،
وأقلها تكلفًا ، اختارهم الله لصحبة نبيه ، وإقامة دينه ،

فاعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوهم على أثرهم ، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم ، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم .

- ومن كلام السلف رضي الله عنهم :
اسلكوا سبيل الاتباع ، فإن سلكتموه سبقتكم سبقاً بعيداً ،
وإن أخذتم يميناً وشمالاً - يعني انحرفتم - ضللتكم ضلالاً
بعيداً .

الطرق إلى الله تعالى كثيرة ، وأصحها وأعمرها وأبعداها
عن الشُّبه ، اتباع السنَّة قولاً وفعلًا ، وعقدًا ونية ؛ لأن الله
تعالى يقول :

﴿ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾ . (النور : 54)

- من ألزم نفسه آداب السنَّة ، نور الله قلبه بنور
المعرفة ، ولا مقام أشرف من متابعة الحبيب ﷺ في أوامره
وأفعاله وأخلاقه ، والتأدب بآدابه قولاً وفعلًا .

- لا يقبل الله تعالى من الأعمال إلا ما كان صحيحًا .
ولا يقبل من صحيحها إلا ما كان خالصًا . ولا يقبل من
خالصها إلا ما وافق السنَّة .

- لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات ، حتى يرتقي في الهواء ، ويمشي على الماء ، فلا تغتروا به ، حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي ، وحفظ الحدود وآداب الشريعة .

الامر بالإحسان والحض عليه

قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ... ﴾ .

(النساء : 125)

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ . (فصلت : 33)

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ... ﴾ .

(النحل : 90)

﴿ وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ... ﴾ . (لقمان : 22)

وفي الحديث الشريف : « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه ، فإنه يراك ... » . (مسلم)

من ثمرات الإحسان

الإحسان أعلى مقامات الطاعة ، وله ثمرات ؛ منها :

1 - معية الله تعالى :

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ يُحْسِنُونَ ﴾ .
(النحل : 128)

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .
(العنكبوت : 69)

أي معهم بتأييده ونصره ومعونته وهديه . وهذه معية خاصة .

وأما المعية العامة ، فبالسمع والبصر والعلم :

كقوله تعالى :

﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ .
(الحديد : 4)

وكقوله عز وجل :

﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .
(المجادلة : 7)

ومن ثمرات الإحسان :

2 - محبة الله تعالى :

﴿ وَأَخْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ . (البقرة : 195)
﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُطَيْبِ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .
(آل عمران : 134)

وهذا من مقامات الإحسان .

ومن ثمرات الإحسان :

3 - رحمة الله تعالى :

قال بعض السلف :

استنجزوا موعود الله بطاعته ، فإنه قضى أن رحمته

قريب من المحسنين .

قال تعالى : ﴿ وَأَدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ . (الأعراف : 56)

وقال عز وجل : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ . (الأعراف : 156)

والتقوى من الإحسان .

ومن ثمرات الإحسان :

4 - الهداية :

قال الله تعالى : ﴿ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴾ ① هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴾ . (لقمان : 2 ، 3)

فالله تعالى جعل هذا القرآن هدى وشفاء ورحمة للمحسنين ، وهم الذين أحسنوا العمل في اتباع شريعة الله ، فأقاموا الصلاة المفروضة بحدودها وأوقاتها ، وما يتبعها من نوافل راتبة وغير راتبة ، وآتوا الزكاة المفروضة عليهم إلى مستحقيها ، ووصلوا أرحامهم وقرباتهم ، وأيقنوا بالجزاء في الدار الآخرة فرغبوا إلى الله في ثواب ذلك ، لم يراءوا به ،

ولا أرادوا جزاء من الناس ولا شكورًا ...
فمن فعل ذلك فهو من المتقين المحسنين المهتدين .

ومن ثمرات الإحسان :

5 - البشرى الصالحة :

قال تعالى :

﴿ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴾ . (الحج : 37)
﴿ وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ ⁽¹⁾ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبَشْرَى لِّلْمُحْسِنِينَ ﴾ . (الأحقاف : 12)

ومن ثمرات الإحسان :

6 - حسن المثوبة :

وعد الله تعالى المحسنين حُسن الثواب ، فقال عز وجل : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ ﴿١١﴾ وَفَوْكَهُ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿١٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

(المرسلات : 41 - 44)

(1) أي لما قبله من الكتب .

شتان بين محسن ومسيء

الله تعالى أعدل وأحكم من أن يساوي بين محسن ومسيء ، وبرّ وفاجر ، ومُتّق وفاسق ، ومؤمن وكافر ... كما لا يستوي في نظر الناس الأعمى والبصير ، ولا الظلمات ولا النور ، فإنه لا يستوي عند الله المحسن والمسيء ، ولهذا أعد المثوبة للمحسن ، والعقوبة للمسيء .

قال الله تعالى :

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ . (الجاثية : 21)

﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾ .

(السجدة : 18)

﴿ أَمَنْ هُوَ قَنِيتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَؤُلَا الْأَلْبَبِ ﴾ . (الزمر : 9)

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسَوِّءُ قَلِيلًا مَّا نَتَذَكَّرُونَ ﴾ . (غافر : 58)
 ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۖ وَلَا الْأَظْلَمُتُ وَلَا النُّورُ ۚ وَلَا الظُّلُمُتُ وَلَا الْحُرُورُ ۚ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ... ﴾ .
 (غافر : 19 - 22)

﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ ⁽¹⁾ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْبَحِ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ . (هود : 24)
 ﴿ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ ﴾ . (الحشر : 20)

الله لا يضيع أجر المؤمنين المحسنين

الله تعالى جواد كريم ، لا يضيع أجر المحسنين ، يثيب الطائع على طاعته ، ويجزي المحسن بإحسانه ، أضعافاً مضاعفة ، والله عنده حسن الثواب :

قال الله تعالى : ﴿ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ . (يوسف : 56)

(1) المؤمنون والكافرون .

﴿وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ .

(هود : 115)

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ...﴾ .
(النساء : 173)

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ...﴾ . (يونس : 26)

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا
بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَىٰ﴾ . (النجم : 31)

وقال تعالى في المجاهدين الصابرين :

﴿فَنَالَهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ
يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ .
(آل عمران : 148)

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ⁽¹⁾ وَلَا
مَخْمَصَةٌ⁽²⁾ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْشُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ
وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كَيْبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ
إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥﴾ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً

(2) أي مجاعة .

(1) أي تعب .

وَلَا كِبِيرَةٌ وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ . (التوبة : 120 ، 121)

﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنَ بَعْضٍ فَأَلَّيْنِ هَاجِرُوا وَآخِرُجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَوْدُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٢٢﴾ .

(آل عمران : 195)

قال بعض السلف : لا تَتَّهِمُوا اللَّهَ تعالى في قضائه ، فالله لا يبغي على أحد ، فإذا أنزل بأحدكم شيئاً مما يحب ؛ فليحمد الله ، وإذا أنزل به شيئاً مما يكره ؛ فليصبر وليحتسب ، فإن الله عنده حسن الثواب .

إنما الأعمال بالنيات

لا بد من إحضار النية ، في جميع الأعمال والأقوال والأحوال الظاهرة والخفية :

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ

أَلَدَيْنَ ... ﴿ ٥ 〉 . (البينة : 5)

وفي الحديث الشريف : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله . ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها ، أو امرأة ينكحها - أي يتزوجها - فهجرته إلى ما هاجر إليه » .

(البخاري ومسلم)

« إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله تعالى ، إلا أجزت عليها ، حتى ما تجعل في في امرأتك » (البخاري ومسلم) . أي في فمها ...

وسئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ، ويقاقل حمية - أي محاماة عن عشيرته - ويقاقل رياء . أي ذلك في سبيل الله ؟

فقال رسول الله ﷺ : « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ، فهو في سبيل الله » . (البخاري ومسلم)

وفي الحديث الشريف : « إذا أنزل الله بقوم عذابا ، أصاب العذاب من كان فيهم ، ثم بعثوا على أعمالهم » .

(البخاري ومسلم)

وفي رواية : « إن الله إذا أنزل سطوته بأهل نعمته ، وفيهم الصالحون ، قَبَضُوا معهم ، ثم بُعِثُوا على نياتهم وأعمالهم » . (ابن حبان)

وللنية تأثير عظيم في عون الله تعالى العبد ، أو خذلانه : ففي الحديث الشريف : « من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله » . (البخاري)

الأمر بالمبادرة بالأعمال

لما كانت الدنيا دار عمل ، والآخرة دار جزاء ، كان جديراً بالمؤمن أن يسارع في الدنيا إلى كل عمل صالح ، ليتزود إلى آخرته بما يجد ثوابه عند الله عز وجل . قال الله تعالى : ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ... ﴾ (البقرة : 148) . أي سارعوا إليها .

﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ . (آل عمران : 133)

وفي الحديث الشريف : قال رجل للنبي ﷺ يوم أحد :
«أرأيت - أي أخبرني - إن قُتِلْتُ فأين أنا ؟ قال : في الجنة . فألقى تمرات كنّ في يده ، ثم قاتل حتى قُتل » .
(البخاري ومسلم)

كثرة طرق الخير

خلق الله تعالى الإنسان ضعيفاً ، وعلم ضعفه فنوّع له ألوان العبادات والأعمال الصالحة ، حتى إذا أدركه الملل من عمل ، انتقل إلى عمل آخر يجد فيه الرغبة والنشاط ، فيكثر من الصالحات التي يدّخرها لآخرته :

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ .
(البقرة : 215)

﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿ . (الزلزلة : 7)

وفي الحديث الشريف : « يصبح على كل سلامى - أي مفصل - من أحدكم صدقة ، فكل تسبيحة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ،

وأمرٌ بالمعروف صدقة ، ونهْيٌ عن المنكر صدقة . ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى » . (مسلم)
 « كل سلامي من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس : تعدل بين الاثنين صدقة ، وتعين الرجل في دابته ، فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة ، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة ، وتميط الأذى عن الطريق صدقة » . (البخاري ومسلم)

« عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا ، فَوُجِدَتْ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا الْأَذَى يَمَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ - أَيِ يُنَحَّى عَنْهُ - وَوُجِدَتْ مِنْ مَسَاوِيٍّ أَعْمَالِهَا النَّخَاعَةُ تَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ لَا تُدْفَنُ » . (مسلم)

وفي حديث آخر : « بينما رجل يمشي بطريق ، اشتد عليه العطش ، فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ، ثم خرج ، فإذا كلب يلهث - أي يخرج لسانه من شدة العطش - يأكل الثرى من العطش . فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان قد بلغ مني .

فنزل البثر ، فملأ خفه ماء ، ثم أمسكه بفيه حتى رقي ، فسقى الكلب ؛ فشكر الله له ، فغفر له .

قالوا : يا رسول الله ، إن لنا في البهائم أجراً ؟! فقال : « في كل كبد رطبة أجر » . (البخاري ومسلم)
أي في إرواء كل حي ثواب .

وفي حديث آخر : « مرّ رجل بغصن شجرة على ظهر طريق ، فقال : والله لأنّحيت هذا عن المسلمين لا يؤذيهم . فأدخل الجنة » . (مسلم)

وقال رسول الله ﷺ مرة لأصحابه : « ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ، ويرفع به الدرجات ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : إسباغ الوضوء على المكاره - أي في نحو برد شديد - وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط » (مسلم) أي كالجهاد في سبيل الله .

وفي حديث آخر :

« ما من مسلم يغرس غرساً ، إلا كان له ما أُكل منه له صدقة ، وما سُرق منه له صدقة ، ولا يُرزؤه - أي ينقصه -

أحد إلا كان له صدقة » . (مسلم)

وفي حديث آخر : « اتقوا النار ولو بشقّ تمر »
(البخاري ومسلم) - أي نصفها - .

وفي الحديث الشريف : « على كل مسلم صدقة . قال :
أرأيت إن لم يجد ؟ قال : يعمل بيديه فينفع نفسه
ويتصدق . قال : أرأيت إن لم يستطع ؟ قال : يعين ذا
الحاجة الملهوف . قال : أرأيت إن لم يستطع ؟ قال : يأمر
بالمعروف أو الخير . قال أرأيت إن لم يفعل ؟ قال : يمسك
عن الشر ، فإنها صدقة » . (البخاري ومسلم)

الاقتصاد في الطاعة

إذا قوي إيمان العبد باللّٰه وباليوم الآخر ، اشتدت رغبته
في طاعة اللّٰه ، حبًّا به وشكرًا له على نعمه التي لا تُعد ولا
تُحصى ، ورغبةً في رضاه العاجل في الدنيا ، وثوابه الآجل
في الآخرة .

وعلى هذا فقد يحتمل العبد نفسه من الطاعات ما لا

يطيق المداومة عليها ، فتدركه في ذلك مشقة ، وتسأم نفسه منها ، وتنقطع عنها .

فمن رحمة الله تعالى بعباده أحب لهم الاقتصاد في الطاعات ، والعمل بما يطيقون .

قال الله تعالى : ﴿ طه ٥٠ مَّا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْفَىٰ ۖ ﴾ . (طه : 1 ، 2)

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ... ﴾ . (البقرة : 185)

« وعن عائشة رضي الله عنها ، أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة . قال : مَنْ هذه ؟ قالت : هذه فلانة ، تذكر من صلاتها . قال : مَهْ - كلمة نهى وزجر - عليكم بما تطيقون ، فوالله لا يَمَلُّ الله حتى تَمَلُّوا . وكان أحب الدين إليه ، ما داوم عليه صاحبه » . (البخاري ومسلم)

ومعنى : لا يمل الله : لا يقطع ثوابه عنكم ، ويعاملكم معاملة المال ، حتى تملّوا فتتركوا ، فينبغي أن تأخذوا من العمل ما تطيقون الدوام عليه ، ليدوم ثوابه لكم ، وفضله عليكم .

وجاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ .

فلما أخبروا ، كأنهم تقالُّوها - أي عدّوها قليلة .
وقالوا : أين نحن من النبي ﷺ ، وقد عُفِرَ له ما تقدم
من ذنبه وما تأخر ؟

قال أحدهم : أما أنا ، فأصلي الليل أبداً .
وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر أبداً ولا أفطر .
وقال الآخر : وأنا أعتزل النساء ، فلا أتزوج أبداً .
فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال : « أنتم الذين قلتم
كذا وكذا ؟ وأما والله إنني لأخشاكم لله وأتقاكم له ،
لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن
رغب عن سنتي - أي أعرض عنها - فليس مني » .

(البخاري ومسلم)

« إن الدين يسر ، ولن يُشادَّ الدين أحد إلا غلبه - أي
لكثرة طرقه - فسددوا وقاربوا وأبشروا بالغدوة والروحة ،
وشيء من الدُّلجة » .
(البخاري)

أي استعينوا على طاعة الله عز وجل بالأعمال في وقت نشاطكم وفراغ قلوبكم ، بحيث تستلذون العبادة ، ولا تسأمون ، وتبلغون مقصودكم . كما أن المسافر الحاذق ، يسير في هذه الأوقات ، ويستريح هو ودابته في غيرها ، فيصل إلى المقصود بغير تعب .

ودخل النبي ﷺ المسجد فإذا حبلٌ ممدود بين الساريتين - أي عمودين - فقال : « ما هذا الحبل ؟ قالوا : هذا حبل لزنب ، فإذا فترت - أي كسيت عن القيام في الصلاة - تعلقت به . فقال النبي ﷺ : حُلَّوْهُ ، ليصل أحدكم نشاطه ، فإذا فتر فليرقد » . (البخاري ومسلم)

« إذا نَعَسَ أحدكم وهو يصلي فليرقد ، حتى يذهب عنه النوم ، فإنه إذا صلى وهو ناعس لا يدري لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه » (البخاري ومسلم) ؛ أي يدعو عليها .

وأخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء ، فزار سلمان أبا الدرداء ، فرأى أم الدرداء متبذلة - أي تاركة ثياب الزينة - وذلك قبل فرض الحجاب .

فقال : ما شأنك ؟ قالت : أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا ، يصوم النهار ، ويقوم الليل .
فجاء أبو الدرداء ، فصنع له طعامًا ، فقال له : كلْ فإني صائم .

قال : ما أنا بآكل حتى تأكل . فأكل ، فلما كان الليل ، ذهب أبو الدرداء يقوم . فقال له سلمان : نم . فنام ، ثم ذهب يقوم . فقال له : نم . فلما كان آخر الليل ، قال سلمان : قم الآن . فصليا جميعًا .

فقال له سلمان : إن لربك عليك حقًا ، وإن لنفسك عليك حقًا ، ولأهلك عليك حقًا ، فأعطِ كل ذي حق حقه . فأتى - أبو الدرداء - النبي ﷺ ، فذكر ذلك له . فقال النبي ﷺ : صدق سلمان . (البخاري وغيره)

وقال ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : « ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل ؟ قال : بلى يا رسول الله . قال : فلا تفعل ، صم وأفطر ، ونم وقم ، فإن لجسدك عليك حقًا ، وإن لعينيك عليك حقًا ، وإن لزورك عليك حقًا ، وإن لزوجك عليك حقًا ، وأي ضيفك - عليك

حقًا » . (البخاري ومسلم)

وعن حنظلة بن الربيع أحد كتاب رسول الله ﷺ قال : « لقيني أبو بكر ، رضي الله عنه ، فقال : كيف أنت يا حنظلة ؟ قلت : نافق حنظلة - أي خاف على نفسه النفاق - قال : سبحان الله ! ما تقول ؟ قلت : نكون عند رسول الله ﷺ ، يذكُرنا بالجنة والنار كأننا رأيَ عين ، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ ، عافسنا - أي لاعبنا - الأزواج والأولاد والضيعات - يعني المعاش - فنسينا كثيرًا .

قال أبو بكر رضي الله عنه : فوالله إنا لنلقى مثل هذا . فانطلقت أنا وأبو بكر ، حتى دخلنا على رسول الله ﷺ . فقلت : نافق حنظلة يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : وما ذاك ؟ قلت : يا رسول الله ، نكون عندك تذكُرنا بالنار والجنة ، حتى كأننا رأيَ العين ، فإذا خرجنا من عندك ، عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ، نسينا كثيرًا .

فقال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده ، إن لو

تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر ، لصافحتكم
 الملائكة على فرشكم ، وفي طرقكم ، ولكن يا حنظلة ساعة
 وساعة ، ساعة وساعة ، ساعة وساعة » . (مسلم)

« وبينما النبي ﷺ يخطب مرة ، إذا هو برجل قائم .
 فسأل عنه ، فقالوا : أبو إسرائيل نذر أن يقوم في الشمس ،
 ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ، ويصوم .

فقال النبي ﷺ : مروه فليتكلم ، وليستظل ، وليقعد ،
 وليتيم صومه » . (البخاري)

المحافظة على الأعمال

الأعمال الصالحة من عبادات وطاعات ، غذاء روحي للإنسان ، فتنبغي المداومة عليها ، فإذا اعتاد العبد طاعة من الطاعات ، فليدم عليها ، ليدوم غذاء روحه ، وتديم حياتها .
لهذا أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالمداومة على عبادته فقال : ﴿ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ (الحجر : 99) ؛
يعني الموت .

ونهى الله تعالى عباده المؤمنين أن ينقضوا أيمانهم وعهودهم بعد توثيقها وإبرامها ، فقال عز وجل : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا... ﴾ .
(النحل : 92)

شبه الله تعالى الذين يحلفون ويعاهدون ، ويؤيمون عهودهم ، ثم ينقضونها ، بالمرأة تغزل غزلها وتفتله محكمًا ، ثم تحله .
ويروى أن امرأة حمقاء بمكة ، كانت تفعل ذلك ؛ فيها وقع التشبيه .

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ . (الحديد : 16)

وفي الحديث الشريف : « أن رسول الله ﷺ كان أحب الدين إليه ، ما داوم صاحبه عليه » . (البخاري ومسلم)

وفي الحديث الشريف : « من نام عن حربه من الليل ، أو عن شيء منه ، فقرأه ما بين الفجر وصلاة الظهر ، كُتِبَ له كأما قرأه من الليل » . (مسلم)

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ، رضي الله عنهما ، قال : قال لي رسول الله ﷺ : « يا عبد الله ، لا تكن مثل فلان ، كان يقوم من الليل ، فترك قيام الليل » .

(البخاري ومسلم)

« وكان رسول الله ﷺ ، إذا فاتته الصلاة من الليل من وجع أو غيره ، صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة » . (مسلم)
يظهر جلياً مما سبق ، أنه ينبغي للعبد أن يحافظ على أعماله الصالحة ويتدارك ما فاتته منها ، وأن لا ينقطع عنها مدى الحياة .

قيل لبعض السلف : يزعم بعض الناس أنهم يصلون إلى مرتبة يسقط عنهم فيها التكليف !

فقال : إن هؤلاء قوم تكلموا بإسقاط الأعمال ، وهذه عندي عظيمة ، وإن الذي يسرق ويزني ، أهون حالاً من الذي يقول هذا ، وإن العارفين بالله تعالى أخذوا الأعمال عن الله ، وإليه رجعوا فيها ، ولو بقيت ألف سنة ، لم أنقص من أعمال البر ذرة ، إلا أن يحال بي دونها .

كيف لا ، وقد قال تعالى لنبيه الكريم ، عليه أفضل الصلاة والتسليم : ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ .
(الحجر : 99)

مما يعين على العمل الصالح

مما يعين على الأعمال الصالحة ، تذكر ثوابها في الآخرة ، وصحبة الصالحين العاملين للصالحات ، فإن الإنسان ينشط للعمل إذا صاحب أهل النشاط في العمل ، وعدوى الخير تسري .
قال الله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ .
(التوبة : 119)

وفي الحديث الشريف : « المرء على دين خليله ، فليُنظر أحدكم من يخالل » (أبو داود وغيره) - أي يصاحب - .
يصدق ذلك ما جاء في حديث الرجل الذي قتل مائة نفس ، وسأل عالماً : « هل له من توبة » ؟ فقال : ومن يحول بينك وبين التوبة ؟

انطلق إلى أرض كذا وكذا ، فإن بها أناسًا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ، ولا ترجع إلى أرضك ، فإنها أرض سوء . (البخاري ومسلم)

ومن كلام السلف : صحبة أهل الصلاح تورث القلب الصلاح ، وصحبة أهل الفساد تورث فيه الفساد .

إذا أراد الله تعالى بعبد خيراً ، رزقه صحبة الصالحين والأخيار ، ووفقه لقبول نصائحهم ، والافتداء بهم في أعمالهم .

لا تصحب من لا ينهضك حاله ، ولا يدلك على الله مقاله .

ربما كنت مسيئاً ، فأراك الإحسان منك صحبتك من هو أسوأ حالاً منك .

الدلالة على العمل الصالح

من شأن المؤمن الذي هداه الله تعالى إلى الخير والعمل الصالح ، أن يدعو غيره إلى ما هُدي إليه ، وبذلك ينال أجره ومثل أجر من تبعه فيه :

قال الله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ... ﴾ .

(المائدة : 2)

﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ... ﴾ .

(آل عمران : 104)

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ .

(فصلت : 33)

وفي الحديث الشريف : « من دلَّ على خير ، فله مثل أجر فاعله » . (مسلم)

« من دعا إلى هدى ، كان له من الأجر ، مثل أجور من تبعه ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ... » .

(مسلم)

قبول العمل

على العبد أن يعمل الصالحات ، ويرجو من الله تعالى قبولها ، ويخشى ردها ؛ فمن وصف العبودية لله عز وجل تعليق القلب بين الخوف والرجاء .

قال الله تعالى في عباده الصالحين الشاكرين الحريصين على العمل الصالح ، الضارعين إليه في جميع شئونهم ، التائبين إليه ، المعلنين استسلامهم لأحكامه :

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَقَبِلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ .

(الأحقاف : 16)

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

(المائدة : 27)

ومن كلام عليّ كرم الله تعالى وجهه : كونوا لقبول العمل أشدَّ اهتمامًا منكم للعمل ، وهل يقلُّ عمل يُتَقَبَّلُ :

﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ . (المائدة : 27)

فعلى العبد المؤمن أن يعمل ، ويسأل الله تعالى القبول :

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ .
(البقرة : 127)

من علامات القبول

قبول الأعمال عند الله تعالى أمر غيبي ، لكن له علامات ؛ منها :

1 - أن لا يذكره صاحبه ، بل يتركه سرّاً بينه وبين ربه عز وجل ؛ لأن العمل المقبول يُرفع ، وإذا رُفِع فلا يشهده صاحبه ، فكيف يذكره ؟

قال تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ... ﴾ .
(فاطر : 10)

ومن علامات قبول العمل :

2 - التوفيق بعده إلى عمل صالح آخر :

قال بعض السلف : جزاء الحسنة حسنة بعدها ، وجزاء السيئة سيئة بعدها .

فالأعمال الصالحات يستجر بعضها بعضاً . والأعمال

السيئة يسوق بعضها إلى بعض .

قال بعض السلف : من وجد ثمرة عمله عاجلاً ، فهو دليل على وجود القبول آجلاً .

ومن علامات قبول العمل :

3 - أن يكون العامل صاحب تقوى :

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

(المائدة : 27)

الإخلاص في العمل

الإخلاص : هو إرادة العبد وجه الله تعالى في عمله ، واحتسابه الأجر عنده .

قال الله تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ . (الكهف : 110)
﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ... ﴾ .

(البينة : 5)

﴿ قُلْ إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يُعْلَنَهُ اللَّهُ ... ﴾ .
(آل عمران : 29)

وفي الحديث الشريف : « إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ، ولا إلى صوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم » . (مسلم)
 « إن الله عز وجل ، لا يقبل من العمل ، إلا ما كان له خالصاً ، وابتغي به وجهه » . (أبو داود والنسائي)
 وسئل بعض السلف : ما غاية الإخلاص ؟

فقال : أن لا تحب محمدة الناس .

حُبوب العمل

حُبوب العمل : هو ذهابه سدىً من غير مثوبة ، ولا حسن جزاء ؛ وله أسباب منها :

1 - الكفر والردة عن الإسلام - والعياذ بالله تعالى - :

قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَزِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ .

(البقرة : 217)

﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ

مِنَ الْحَسِرِينَ ﴿٥﴾ . (المائدة : 5)

﴿ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بَيِّنَاتِنَا وَلَقَاءَ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ
أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

(الأعراف : 147)

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَبُخِطَتْ أَعْمَالُهُمْ
فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا ﴾ (الكهف : 105)
﴿ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ﴾ .

(الأحزاب : 19)

والردة عن الإسلام توجب القتل :

ففي الحديث الشريف : « لا يحلُّ دم امرئ مسلم إلا
يأحدي ثلاث : الثيبُ الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك
لدينه المفارق للجماعة » (البخاري ومسلم) .

2 - وما يحبط العمل الرياء : وهو ضد الإخلاص .

والرياء : هو أن يطلب العامل الدنيا بعمل الآخرة .

والرياء شرك خفي ، وهو محبط للعمل .

قال الله تعالى : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ

بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ ⁽¹⁾ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابُهُ
وَابِلٌ ⁽²⁾ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ⁽³⁾ ... ﴿ . (البقرة : 264)

وفي الحديث القدسي : يقول الله تعالى :

« أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك
فيه معي غيري ، تركته وشركه » . (مسلم)
وليس من الرياء أن يعمل العبد عملاً صالحاً فيشتي الناس
عليه بذلك خيراً :

إذا لم يقصد هو ذلك .

قيل لرسول الله ﷺ : أرايت الرجل الذي يعمل العمل
من الخير ، ويحمده الناس عليه ؟ قال : « تلك عاجل
بشرى المؤمن » . (مسلم)

أي تلك بشرى له في الدنيا بصلاحه وفلاحه .

قال الله تعالى : ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي

(2) أي مطر شديد .

(1) أي حجر أملس .

(3) أي أجرداً نقياً .

الْآخِرَةَ ﴿ (يونس : 64) .

جزاء العمل الصالح في الدنيا

للأعمال الصالحات جزاء عاجل في الدنيا ، قبل الثواب الآجل في الآخرة . فمن ذلك :

1 - حسن رعاية الله تعالى :

ففي الحديث القدسي : « ... وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألتني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه » . (البخاري ومسلم)

2 - والمودة في قلوب المؤمنين :

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ . (مريم : 96)

وفي الحديث الشريف : « إذا أحب الله تعالى العبد ، نادى جبريل : إن الله تعالى يحب فلاناً فأحبه . فيحبه

جبريل ، فينادى في أهل السماء : إن الله يحب فلاناً فأحبه . فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض . (البخاري ومسلم)

وفي الخبر : « ما أقبل عبد بقلبه إلى الله عز وجل ، إلا جعل الله قلوب المؤمنين تفد إليه بالود والرحمة ، وكان الله عز وجل إليه بكل خير أسرع » . (الطبراني)

3 - والتمكين في الأرض :

قال الله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ... ﴾ . (النور : 55)

وقد حقق الله تعالى ذلك للمسلمين الأولين لما آمنوا وعملوا الصالحات ، ففتحوا مشارق الأرض ومغاربها ، ومنحهم التمكين والعزة والقوة .

4 - وحسن الذكر :

قال الله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام :
﴿وَأَجْعَلْ لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ . (الشعراء : 84)
يعني الثناء الحسن .

وذلك مثل قوله تعالى : ﴿وَعَايَنَهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً...﴾ .
(النحل : 122)

﴿وَعَايَنَهُ أَجْرُهُ فِي الدُّنْيَا...﴾ . (العنكبوت : 27)
أي جمع الله تعالى لإبراهيم عليه السلام بين سعادة الدنيا الموصولة بسعادة الآخرة ، فكان له في الدنيا الرزق الواسع الهنيء ، والمنزل الرحب ، والمورد العذب ، والزوجة الحسنة الصالحة ، والثناء الجميل ، والذكر الحسن ، وكل أحد يحبه ويتولاه .

5 - وتفريج الكرب :

قال الله تعالى : ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ . (الطلاق : 2 ، 3)

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ . (الطلاق : 4)

وفي الحديث الشريف : « انطلق ثلاثة نفر من مكان قبلكم ، حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه ، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار . فقالوا : إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم . قال رجل منهم : اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبى - أي لا أقدم في الشرب - قبلهما أهلاً ولا مالاً ، فنأى بي طلب الشجر يوماً ، فلم أرُح عليهما - أي لم أرجع إليهما - حتى ناما ، فحلبت لهما غبوقهما - أي ما يشربانه عند العشي - فوجدتهما نائمين ؛ فكرهت أن أوقظهما ، وأن أغبى قبلهما أهلاً أو مالاً ، فلبثت - والقدح على يدي - أنتظر استيقاظهما ، حتى برق الفجر ، أي ظهر ضوءه - والصبية يتضاغون - أي يصيحون من الجوع - عند قدمي . فاستيقظا فشربا غبوقهما .

اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ، ففرِّج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة .

فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج منه .

قال الآخر : اللهم إنه كانت لي ابنة عم ، كانت أحب الناس إليّ ، فأردتها على نفسها - أي طلبت منها ما يطلب الرجل من زوجته - فامتنعت مني ، حتى أُلْتُ بها سنة من السنين - أي المجدبة - فجاءتني ، فأعطيتها عشرين ومائة دينار ، على أن تخلي بيني وبين نفسها ، ففعلت ، حتى إذا قدرْتُ عليها ، قالت : اتق الله ولا تفضُ الخاتم إلا بحقه . فانصرفْتُ عنها وهي أحب الناس إليّ ، وتركت الذهب الذي أعطيتها .

اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ، فافرج عنا ما نحن فيه . فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها .

وقال الثالث : اللهم استأجرت أجراً وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ، ترك الذي له وذهب ، فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال ، فجاءني بعد حين ، فقال : يا عبد الله أدِّ إليّ أجري .

فقلت : كل ما ترى من أجرك : من الإبل والبقر والغنم والرقيق . فقال : يا عبد الله لا تستهزئ بي . فقلت : لا

أستهزئ بك . فأخذه كله فاستاقه ، فلم يترك منه شيئاً .
 اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ، فافرج عنا ما
 نحن فيه . فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون » .

(البخاري ومسلم)

وفي هذا الحديث الشريف : أن العمل الصالح مع
 الإخلاص ، يفرّج الكرب ، وينجي من الشدائد والصعاب .

الجزاء من جنس العمل

قضت حكمة الله تعالى أن يجعل جزاء العاملين من
 جنس أعمالهم ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر :

قال الله تعالى : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَلِهَا
 وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ .

(الأنعام : 160)

﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ
 وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (n) وَالَّذِينَ
 كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ مِّثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ .. ﴿ .

(يونس : 26 ، 27)

وفي الحديث الشريف : « إن الله يبعث يوم القيامة منادياً ينادي : يا أهل الجنة - بصوت يسمع أولهم وآخرهم - إن الله وعدكم الحسنى وزيادة .

فالحسنى الجنة ، والزيادة النظر إلى وجه الرحمن عز وجل » (مسلم)

﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ . (الرحمن : 60)
أي ليس لمن أحسن العمل في الدنيا إلا الإحسان إليه في الآخرة .

وقال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ .
(النجم : 31)

﴿ ثُمَّ كَانَ عَقِبَةَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا السُّوْءَى .. ﴾ . (الروم : 10)
﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ . (القصص : 84)
وإليك تفصيل ذلك مما جاء في القرآن الكريم . والحديث النبوي الشريف :

جزء الحسنات الحسنی

1 - في الهداية :

قال الله تعالى : ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾ .

(مريم : 76)

﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ .

(محمد : 17)

أي والذين قصدوا الهداية وفقهم الله تعالى لها ،
فهداهم إليها ، وثبتهم عليها ، وزادهم منها ، وألهمهم
رشداهم .

2 - في الذكر والإقبال على الله تعالى :

جاء في الحديث القدسي : « أنا عند ظن عبدي بي ،
وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ، ذكرته في
نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ، ذكرته في ملأ خير منهم ،
وإن تقرب إلي شبراً ، تقربت منه ذراعاً ، وإن تقرب إلي

ذراعًا ، تقربت منه باعًا ، وإن أتاني يمشي ، أتيته هرولة » .
(البخاري ومسلم وغيرهما)

وما جاء في هذا الحديث الشريف ، من التقرب والهرولة بالنسبة إلى الله تعالى ، فمذهب السلف الإيمان به على ما يليق بعظمة الله ، وربنا ليس كمثله شيء .

ومذهب الخلف أن المراد بقرب العبد من الله تعالى القرب بالذكر والعمل الصالح ، لا قرب الذات والمكان ، فإن ذلك من صفات الأجسام ، والله يتعالى عن ذلك ويتقدس . والمراد بقرب الله تعالى من العبد ، قرب نعمه وألطافه به ، وبرّه وإحسانه إليه ، وفيض مواهبه عليه ، وتراؤف مننه عنده .

3 - في التماس رضا الله تعالى :

جاء في الحديث الشريف : « من التمس - أي طلب - رضا الله بسخط الناس ، رضي الله عنه ، وأرضى عنه الناس . ومن التمس رضا الناس بسخط الله ، سخط الله عليه ، وأسخط عليه الناس » .
(ابن حبان)

4 - في الصدق مع الله تعالى :

« جاء رجل من الأعراب إلى النبي ﷺ ، فأمن به واتبعه ، ثم قال : أهاجر معك . فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه ، فلما كانت غزاته ، غنم النبي ﷺ فقسم وقسم له ، فأعطى أصحابه ما قسم له ، وكان يرعى ظهرهم . فلما جاء دفعوه إليه ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : قسم قسمه لك النبي ﷺ . فأخذه فجاء به إلى النبي ﷺ ، فقال : ما هذا ؟ قال : قسمته لك .

قال : ما على هذا اتبعتك ، ولكن اتبعتك على أن أرمى إلى ها هنا - وأشار إلى حلقه - بسهم ، فأموت فأدخل الجنة .

فقال : إن تصدق الله يصدقك . فلبثوا قليلاً ، ثم نهضوا في قتال العدو . فأتي به إلى النبي ﷺ يُحمل ، قد أصابه سهم حيث أشار . فقال النبي ﷺ : أهو هو ؟! قالوا : نعم . قال : صدق الله فصدقته . (النسائي)

5 - في الحب في الله تعالى :

جاء في الحديث الشريف : « أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى ، فأرصد الله تعالى على مدرجته - أي طريقه - ملكاً . فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخاً لي في هذه القرية . قال : هل لك عليه من نعمة ترُبُّها عليه ؟ - أي تقوم بها وتسعى في صلاحها وتنهض إليه بسبب ذلك ؟ - قال : لا ، غير أنني أحببته في الله تعالى . قال : فإنني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه » . (مسلم)

6 - في الحفظ وحسن الرعاية :

جاء في الحديث الشريف : « احفظ الله يحفظك » (الترمذي) ... ومن أعظم ما يجب حفظه من المأمورات . الصلوات الخمس ، والطهارة لها ، وحفظ الأيمان ، وحفظ الجوارح من المعاصي ، وحفظ القلب من الآفات : كالنفاق والرياء والحسد والكبر والعجب وحب الدنيا والتعلق بها ، والإصرار على المعاصي والمخالفات ...

ويدخل في ذلك فعل الواجبات جميعًا ، وترك المحرمات جميعًا .

وقوله ﷺ : « يحفظك » يعني أن من حفظ حدود الله ، وراعى حقوقه ، حفظه الله ورعاه . وجعله في كنفه وتولاه ، فإن الجزاء من جنس العمل .

وحفظ الله تعالى للعبد يتضمن نوعين :

أحدهما : حفظه له في مصالح دنياه : كحفظه في بدنه وولده وأهله وماله ...

والثاني : حفظه له في أمر دينه ، وحيلولته بينه وبين المعاصي .

7 - في النصر :

قال الله تعالى : ﴿ إِنْ نَصْرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ ﴾ . (محمد : 7)

﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ... ﴾ . (الحج : 40)

فمن ينصر دين الله تعالى في الأرض ، ينصره الله تعالى على أعدائه .

وهذا مما حققه الله تعالى للمسلمين الأولين ؛ إذ نصروا

دين الله ، فنصرهم الله ، مع قلة عددهم ، وكثرة عدوهم .

8 - في العفو :

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ ⁽¹⁾ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .
(النور : 22)

هذه الآية نزلت في الصديق ، رضي الله عنه ، حين حلف أن لا ينفع مسطح بن أثاثه بنافعة أبداً ، بعدما قال في عائشة ، رضي الله عنها ، ما جاء في قصة الإفك .

فلما أنزل الله تعالى براءة أم المؤمنين عائشة ، وطابت النفوس المؤمنة واستقرت ، وتاب الله علي من كان تكلم من المؤمنين في ذلك ، وأقيم الحد على من أقيم عليه ، شرع تبارك وتعالى - وله الفضل والمنة - يعطف الصديق على قريبه ونسيبه ، وهو مسطح بن أثاثه ، فإنه كان ابن خالة الصديق ، وكان مسكيناً لا مال له إلا ما ينفق عليه أبو بكر

(1) أي يحلف .

رضي الله عنه . وكان من المهاجرين في سبيل الله ، وقد زلق زلقة تاب الله عليه منها ، وضرب الحد عليها .

وكان الصديق ، رضي الله عنه ، معروفاً بالمعروف ، له الفضل والأيدي على الأقارب والأبعد ، فلما نزلت هذه الآية إلى قوله تعالى : ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ . (النور : 22)

فإن الجزء من جنس العمل ، فكلما تغفر ذنب من أذنب إليك ، يغفر الله لك ، وكما تصفح يصفح عنك ، فعند ذلك قال الصديق : « بلى والله إنا نحب أن تغفر لنا يا ربنا » .

ثم رجع إلى مسطح ما كان يصله به من النفقة ، وقال : « والله لا أنزعها منه أبداً » .

في مقابلة ما كان قال : « والله لا أنفعه بنافعة أبداً » .

فلهذا كان الصديق هو الصديق ، رضي الله عنه وعن ابنته الصديقة بنت الصديق .

9 - في الرحمة :

جاء في الحديث الشريف : « مَنْ لَا يُرْحَمَ لَا يُرْحَم » .

(البخاري ومسلم)

« مَنْ لَا يَرْحَمِ النَّاسَ لَا يَرْحَمَهُ اللَّهُ » .

(البخاري ومسلم)

10 - في الإنفاق :

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ... ﴾ .

(سبأ : 39)

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت :

قال لي رسول الله ﷺ : « لَا تُوكِي فَيُوكِي عَلَيْكَ » .

أي لا تدخري ما عندك ، وتمنعي ما في يدك ، فيقطع الله عنك مادة الرزق . والجزاء من جنس العمل .

والإيكاء : شدّ رأس الوعاء بالوكاء ، وهو الرباط الذي يربط به .

وفي رواية : « أَنْفَقِي وَلَا تُحْصِي فَيُحْصِيَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، وَلَا تُوعِي فَيُوعِيَ اللَّهُ عَلَيْكَ » . (البخاري ومسلم)

وعن قيس بن سلع الأنصاري رضي الله عنه أن إخوته شكّوه إلى رسول الله ﷺ فقالوا : إنه ييذر ماله ، ويسيطر

فيه . قلت : يا رسول الله ؛ آخذ نصيبي من التمر ، فأنفقه في سبيل الله وعلى من صحبني . فضرب رسول الله ﷺ صدره وقال : « أنفق يُنفق الله عليك ، أنفق ينفق الله عليك ، أنفق ينفق الله عليك » .

قال : فلما كان بعد ذلك خرجت في سبيل الله ، ومعى راحلة ، وأنا أكثر أهل بيتي اليوم وأيسره . (الطبراني)

11 - في الرضا بالقضاء والسخط عليه :

في الحديث الشريف : « إن عَظُمَ الجزاء مع عظم البلاء ، وإن الله تعالى إذا أحب قومًا ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ، ومن سخط فله السخط » . (الترمذي)

12 - الفتور في العمل :

جاء في الحديث الشريف أمرٌ بالاعتدال والاقتصاد في الطاعات ، ونهي عن تحميل النفس منها مالا تطيق : من ذلك قوله ﷺ : « عليكم بما تطيقون ، فوالله لا يملّ الله حتى تملّوا » . (البخاري ومسلم)

أي لا يقطع مثوبته عنكم ، حتى تنقطعوا عن العمل .

13 - في الاستغفار والاستغناء والتصبر :

ففي الحديث الشريف : « من يستغفر يعفّه الله ، ومن يستغفر يُغفر الله ، ومن يتصبر يصبره الله » .

(البخاري ومسلم)

14 - في الرد عن عرض المؤمن :

جاء في الحديث الشريف :

« مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ ، رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . (الترمذي)

« مَنْ حَمَى عِرْضَ أَخِيهِ فِي الدُّنْيَا ، بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُلْكًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يَحْمِيهِ مِنَ النَّارِ » . (ابن أبي الدنيا)

« مَا مِنْ أَمْرٍ مُسْلِمٌ يَخْذُلُ أَمْرًا مُسْلِمًا ، فِي مَوْضِعٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ حَرَمَتُهُ ، وَيُتَنَقَّصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ ، إِلَّا خَذَلَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يَحِبُّ فِيهِ نَصْرَتَهُ .

وما من امرئ مسلم ينصر مسلمًا ، في موضع يُتَنَقَّصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ ، وَيُتَنَهَكُ فِيهِ مِنْ حَرَمَتِهِ ، إِلَّا نَصَرَهُ اللَّهُ فِي

موطن يحب فيه نصرته » . (أبو داود)

15 - في اصطناع المعروف :

في الحديث الشريف : « لا يستر عبد عبداً في الدنيا ، إلا ستره الله يوم القيامة » . (مسلم)

« مَنْ نَفَسَ - أي فرَجَ - عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ، نفَسَ الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يَسِّرَ على معسر يَسِّرَ الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلماً ، ستره الله في الدنيا والآخرة . والله في عون العبد ، ما كان العبد في عون أخيه » . (مسلم)

« أَيُّمًا مؤمنٍ أطعم مؤمناً على جوع ، أطعمه الله يوم القيامة من ثمار الجنة . وأيما مؤمن سقى مؤمناً على ظمأ ، سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم . وأيما مؤمن كسا مؤمناً على عُرْيٍ ، كساه الله يوم القيامة من لحل الجنة » . (الترمذي وأبو داود)

« يُحَشَّرُ الناس يوم القيامة أعرى ما كانوا قط ، وأَجْوَعُ ما كانوا قط ، وأظمأ ما كانوا قط ، وأنصب - أي أتعب

- ما كانوا قط . فمن كسا لله عز وجل ، كساه الله عز وجل . ومن أطعم لله عز وجل ، أطعمه الله عز وجل . ومن سقى لله عز وجل ، سقاه الله عز وجل . ومن عمل لله ، أغناه الله . ومن عفا لله عز وجل ، أعفاه الله عز وجل . (ابن أبي الدنيا)

« كان رجل يداين الناس ، وكان يقول لفتاه : إذ أتيت معسرًا فتجاوز عنه ، لعل الله أن يتجاوز عنا . فلقني الله فتجاوز عنه . » (البخاري ومسلم)

« حوسب رجل ممن كان قبلكم ، فلم يوجد له من الخير شيء إلا أنه كان يخالط الناس - أي - يعاملهم - وكان موسرًا ، وكان يأمر غلمانَه أن يتجاوزوا عن المعسر . قال عز وجل : نحن أحق بذلك منه ، تجاوزوا عنه . »

(مسلم)

« أتى الله تعالى بعبد من عباده ، آتاه الله مالًا ، فقال له - أي يوم القيامة - : ماذا عملت في الدنيا ؟ - ولا يكتمون الله حديثًا - قال : يا رب آتيتني مَالك ، فكنت أبايع الناس ، وكان من خلقي الجواز - أي التجاوز -

فكنت أتيّسر على الموسر ، وأنظر المعسر . فقال الله تعالى :
 أنا أحقّ بهذا منك ، تجاوزوا عن عبدي » (مسلم)
 « من أقال مسلماً عشرته ، أقاله الله يوم القيامة » .

(الطبراني وغيره)

- وجاء في فضل رمضان : « من سقى صائماً ، سقاه الله من
 حوضي شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة » . (ابن خزيمة)
 قال الشاعر :

من يصنع الخير لا يَعدَمَ جوازيه
 لا يذهب العُرف بين الله والناسِ

جزء السيئات السوء

وكما أن جزء الإحسان الإحسان ، فجزء السوء السوء :
 وإليك أمثلة على ذلك مما جاء في القرآن الكريم ، والحديث
 النبوي الشريف :

1 - في الزيف والضلal :

قال الله تعالى مخبراً عن بني إسرائيل : ﴿ فَلَمَّا زَاغُواْ

أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ... ﴿٥﴾ .
 (الصف : 5)
 أي لما عدلوا عن اتباع الحق ، مع علمهم به ، أزاع الله قلوبهم عن الهدى ، وأسكنها الشك والحيرة والخذلان .

2 - في نسيان الله تعالى :

قال الله تعالى : ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ... ﴾ .
 (التوبة : 67)

أي عاملهم معاملة النسيان .
 وقال تعالى : ﴿ فَالْيَوْمَ نَنْسَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا ﴾ .
 (الأعراف : 51)
 ﴿ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ ... ﴾ .
 (السجدة : 14)

أي يقال لأهل النار على سبيل التقريع والتوبيخ : ذوقوا هذا العذاب بسبب تكذيبكم به ، واستبعادكم وقوعه ، وتناسيكم له ، إذ عاملتموه معاملة من هو ناسٍ له فسنعاملكم معاملة الناسي .

قال الله تعالى ذلك من باب المقابلة ؛ لأن الله تعالى لا ينسى شيئاً ، ولا يضل عنه شيء .

وقد حذر الله تعالى عباده المؤمنين ، أن ينسوه ويغفلوا عنه ، فقال : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ... ﴾ . (الحشر : 19)

3 - في الاستهزاء والسخرية والضحك والمخادعة والمكر :

- قال الله تعالى في المنافقين : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ ﴾ ١٤ الله يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ... ﴾ . (البقرة : 14 ، 15)

أي يجازيهم جزاء الاستهزاء .

وفي الحديث الشريف : « إن المستهزئين بالناس ، يُفتح لأحدهم في الآخرة باب من الجنة ، فيقال له : هَلُمَّ هَلُمَّ . فيجيء بكربه وغمه ، فإذا جاءه أُغلق دونه . ثم يفتح له باب آخر ، فيقال له : هَلُمَّ هَلُمَّ . فيجيء بكربه وغمه ، فإذا

جاءه أغلق دونه . فما يزال كذلك ، حتى إن أحدهم ،
ليفتح له الباب من أبواب الجنة ، فيقال له : « هلم » فما
يأتيه من الإياس » . (البيهقي)

- وقال تعالى في المنافقين أيضًا : ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ ⁽¹⁾
الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا
يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ ... ﴾ .
(التوبة : 79)

- وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ
ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا
إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ
لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا
مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴾ . (المطففين : 29 - 34)

- وقال عز وجل : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ
خَدِيرُهُمْ ... ﴾ . (النساء : 142)

(1) أي يعيون . (2) أي متلذذين باستخفافهم بالمؤمنين .

أي يعاقبهم معاقبة الخادع .

- ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴾ .

(الأنفال : 30)

﴿ وَمَكْرُؤًا مَكَرًا وَمَكْرَنَا مَكَرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ .

(النمل : 50)

والمكر : تدبير الأمر في خفية .

والمكر من الله تعالى هو جزاؤهم بالعذاب على مكرهم من حيث لا يشعرون .

4 - في الرغبة في الدنيا :

قال الله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴾ .
(الإسراء : 18)

جعل الله جزاء من أحب العاجلة - وهي الدنيا - تعجيل ما أحب .

يعامل بذلك من شاء من عباده عقوبة لهم ، إذ أعطاهم عاجلاً فانيًا ؛ لرغبتهم في عاجلة فانية .

5 - في أكل أموال اليتامى ظلماً :

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ .

(النساء : 10)

أي إذا أكلوا أموال اليتامى بغير حق ، فإنما يأكلون ناراً تتأجج في بطونهم يوم القيامة . فيجازيهم الله تعالى أكلاً بأكل ، والجزاء من جنس العمل .

6 - في الرياء :

جاء في الحديث الشريف : من سمع سمع الله به ، ومن يرائي يرائي الله به » (البخاري ومسلم) . ومعناه : أن من أظهر عمله للناس رياء ، فضحه الله يوم القيامة .

ومن أظهر للناس العمل الصالح ليعظم عندهم ، أظهر الله سريره على رؤوس الخلائق يوم القيامة .

7 - في شرب الخمر :

في الحديث الشريف : « من مات مدمن خمر ، سقاه

العمل محصّي على فاعله ومسئول عنه ————— 93

اللّه جلّ وعلا من نهر الغوطة . قيل : وما نهر الغوطة ؟
قال : نهر يجري من فروج المومسات ، يؤذي أهل النار ريح
فروجهم » . (أحمد وغيره)

العمل محصّي على فاعله ومسئول عنه

إن الله تعالى يحصي عمل العاملين ، فلا يضيع منه
مثقال ذرة ، ليسأله عنه ، ويكافئ المحسن بإحسانه ، ويجزي
المسيء بإساءته :

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّ إِلَيْكُمْ
وَأَنْتُمْ لَا تَظْلُمُونَ ﴾ . (البقرة : 272)

﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ
مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ . (البقرة : 281)

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُخَضَّرًا وَمَا
عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ... ﴾ .

(آل عمران : 30)

﴿ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ .

(المائدة : 105)

﴿ وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَفَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوتِلُنَا مَالٌ هَذَا الْكِتَابُ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ .
(الكهف : 49)

﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ... ﴾ .
(المجادلة : 6)

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٦﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .
(الحجر : 93)

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٥﴾ كِرَامًا كُنِينًا ﴿١٦﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ .
(الانفطار : 10 - 12)

- وفي الحديث القدسي : « يا عبادي ! إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه » .
(مسلم)

- « ولما فرغ رسول الله ﷺ من غزوة حنين نزل وأصحابه قفرًا ليس فيه شيء . فقال النبي ﷺ : اجمعوا ،

من وجد عودًا فليأت به ، ومن وجد حطبًا أو شيئًا فليأت به . فما كان إلا ساعة ، حتى جعلوه ركامًا . فقال النبي ﷺ : أترون هذا ؟ فكَذلك تجمع الذنوب على الرجل منكم كما جمعت هذا ، فليتنق الله رجل ، ولا يُذنب صغيرة ولا كبيرة ، فإنها مُحصاة عليه . (الطبراني)

الوقاية من السيئات فوز

قال الله تعالى في دعاء الملائكة للمؤمنين : ﴿ وَفَهُمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتُمْ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ . (غافر : 9)

فمن حسن عناية الله تعالى بالعبد وحفظه إياه ، أن يحفظه من المعاصي والمخالفات التي تؤدي به إلى سخط الله وعذاب الله . ومن الفوز العظيم ، سلامته من ذلك .

الحسنات يذهبن السيئات

قال الله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ أَلَيْلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾ . (هود : 114)

وفي الحديث الشريف : « إن الله لا يمحو السيئ بالسيئ ، ولكن يمحو السيئ بالحسن ، إن الخبيث لا يمحو الخبيث » . (أحمد)

« اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » . (أحمد)

تكفير السيئات

المعاصي قسمان : صغائر وكبائر .

فالكبائر : ما ورد فيها وعيد شديد .

والصغائر : ما لم يرد فيها وعيد شديد .

ويكفر الصغائر اجتناب الكبائر .

قال الله تعالى : ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكْفِرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ .

(النساء : 31)

ومما يكفر الصغائر : الوضوء ، والصلوات الخمس ، وصلاة الجمعة ، والمشي إلى الصلاة ، والتسبيحات بعدها ، وصوم رمضان :

ففي الحديث الشريف : « من توضأ فأحسن الوضوء ، خرجت خطاياه من جسده ، حتى تخرج من تحت أظفاره » .
(مسلم)

« ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ، ويرفع به الدرجات :

إسباغ الوضوء على المكاره - أي كما في شدة البرد - وكثرة الخطأ إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط » .
(مسلم)

« الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان ، مكفّرات ما بينهن ، إذا اجتنب الكبائر » . (مسلم)
« من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين . وحمد الله ثلاثاً وثلاثين . وكبّر الله ثلاثاً وثلاثين . وقال تمام المائة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير . غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر » .
(مسلم)

كما يكفر الصغائر كثير من الأعمال الصالحة ، والبلاء والهموم والغموم والآلام والأسقام ... جاءت في ذلك

أحاديث كثيرة متفرقة (1) .

وأما الكبائر : فلا بد لها من توبة :

قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ . (النساء : 14)
 ﴿ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ . (الأعراف : 153)
 ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا نَفْعَلُونَ ﴾ . (الشورى : 25)

ومما يكفر الكبائر الحج :

ففي الحديث الشريف : « من حج فلم يرفث ولم يفسق ، رجع كيوم ولدته أمه » . (البخاري ومسلم)
 ومما يكفر الكبائر الإسلام ؛ بالنسبة لمن كان كافراً فأسلم :
 ففي الحديث الشريف : « الإسلام يجب ما قبله » . (الطبراني)
 أي يقطع ما قبله من المعاصي حتى الكفر ، فلا إثم فيه ، ولا حساب عليه .

(1) انظر رسالتنا في التوبة تجد ذلك مفصلاً .

دفع السيئة بالحسنة

أثنى الله تعالى على عباده الصالحين بأوصاف كريمة ؛
منها : دفع السيئة بالحسنة ، ومقابلة المسيء بالعفو ،
والجاهل بالحلم .

قال الله تعالى في معرض الثناء :

﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا
رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَدْرَهُونَ ⁽¹⁾ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى
الدَّارِ ﴾ . (الرعد : 22)

﴿ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ
فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَمَا يُلْقِيهَا
إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُرٌّ حَظٍ عَظِيمٍ ﴾ .

(فصلت : 34 ، 35)

قال ابن عباس رضي الله عنهما : أمر الله المؤمنين بالصبر
عند الغضب ، والحلم عند الجهل ، والعفو عند الإساءة ،

(1) أي يدفعون .

فإذا فعلوا ذلك ، عصمهم الله من الشيطان ، وخضع لهم عدوهم كأنه وليّ حميم .

من أحسن فانفسه

المحسن إنما يقطف ثمرة إحسانه في الدنيا ، وثواب إحسانه في الآخرة ، فأحسانه إنما يعود على نفسه .

قال الله تعالى : ﴿ إِن أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ... ﴾ . (الإسراء : 7)

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ . (فصلت : 46)

العمل الذي لا ينقطع

قد يعيش الإنسان عمرًا طويلًا ، ويأتي فيه بكثير من الأعمال الصالحة : من صلاة وصدقة وصيام وتلاوة قرآن ، وذكر لله تعالى ، وإحسان وإغاثة لهفان ...

فإذا مات طويث صحيفة أعماله ، فلا يستطيع أن يزيد في حسناته ، ولا أن ينقص من سيئاته .

إلا أن هناك أعمالًا تبقى آثارها بعد موته ، تتجدد له بها

حسنات ..

قال الله تعالى : ﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ ... ﴾ .

(يس : 12)

أي نكتب أعمالهم التي باشروها بأنفسهم ، وآثارهم التي تركوها من بعدهم ، فنجزهم على ذلك أيضًا ، إن خيرًا فخير ، وإن شرًا فشر .

فآثار المرء التي تبقى وتذكر بعد الإنسان من خير أو شر يجازى عليها : من أثر حسن ، كعلم علموه ، أو كتاب صنفوه ، أو وقف وقفوه ، أو بناء بنوه من مسجد أو مدرسة أو مستشفى ، أو نحو ذلك .

وكذلك العمل السيئ : من آلات لهو وميسر ، أو كتب ضلال وإضلال ، أو نحو ذلك .

وفي الحديث الشريف : « من سنَّ في الإسلام سنة حسنة ، فله أجرها وأجر من عمل بها بعده ، من غير أن ينقص من أجورهم شيء . ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة ، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده ، من غير أن

ينقص من أوزارهم شيء » . (مسلم)

« إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » .

(مسلم)

« إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته : علمًا علّمه ونشره ، وولدًا صالحًا تركه ، أو مصحفًا ورّثه ، أو مسجدًا بناه ، أو بيتًا لابن السبيل بناه ، أو نهرًا أجراه ، أو صدقةً أخرجها من ماله في صحته وحياته ، تلحقه من بعد موته » . (ابن ماجه)

« سبع يجري أجرهن للعبد بعد موته وهو في قبره : من علّم علمًا ، أو أجرى نهرًا ، أو حفر بئرًا ، أو غرس نخلاً ، أو بنى مسجدًا ، أو ورّث مصحفًا ، أو ترك ولدًا يستغفر له بعد موته » . (أبو نعيم)

الأجر الذي لا ينقطع

عمل العبد في الدنيا ينقطع بموته ، ولكنّ المثوبة عليه في الآخرة دائمة لا تنقطع :

قال الله تعالى مخاطباً نبيه محمداً ﷺ : ﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾ . (القلم : 3)

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ (فصلت : 8) . أي غير مقطوع .

وقال عزو وجل : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۖ ۝ قِيمًا لِّنُذِرَ بِأَسَاسٍ شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۖ ۝ مَّكَثٍ فِيهِ أَبَدًا ﴾ . (الكهف : 1-3)
فنعيم المؤمنين في الجنة دائم لا ينقطع ولا يبيد .

الأجر الحسن

وصف الله تعالى أجر المؤمنين العاملين بالحُسن ، فقال : ﴿ فَإِنْ تَطِيعُوا بُرُودَكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ... ﴾ .

(الفتح : 16)

الأجر الكبير

كما وصف الله تعالى أجر العاملين بأنه كبير ، فقال : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ .

(الإسراء : 9)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ .

(الملك : 12)

الأجر الكريم

ووصف الله تعالى أجر المؤمنين العاملين بأنه أجر كريم . فقال تعالى مخاطباً نبيه محمداً ﷺ : ﴿ إِنَّمَا نُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾ .

(يس : 11)

وقال عز وجل : ﴿ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ .

(الحديد : 18)

الرزق الكريم

ووصف الله تعالى ما يكرم به عباده الصالحين في الجنة
بأنه رزق كريم :

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ
 اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا
 وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ
 وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا
 لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ ﴾ .
 (الأنفال : 2 - 4)

الأجر العظيم

ووصف الله تعالى أجر المؤمنين العاملين بالعِظَم ، فقال : ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ�ۗ وَإِنْ تَوَمَّنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ . (آل عمران : 179)

﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ
وَالْقَنِاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ

وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتَاتِ وَالصَّانِتَاتِ وَالْحَافِظَاتِ
فُرُوجَهُنَّ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرَاتِ أَلَلَّهُ كَثِيرًا وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ اللَّهُ
لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣٥﴾ (الأحزاب : 35)

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾ .
(الطلاق : 5)

مضاعفة الأجر

من فضل الله تعالى على عباده المؤمنين العاملين أنه
يضاعف لهم الأجر على أعمالهم :

قال الله تعالى : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَلِهَا
وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ .
(الأنعام : 160)

﴿ إِنْ أَلَّهِ لَا يَظْلَمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَظْعِفْهَا
وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ . (النساء : 40)

وفي الحديث القدسي : « إِنْ أَلَّهِ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ
وَالسَّيِّئَاتِ ، ثُمَّ بَيَّنَّ ذَلِكَ : فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا ،
كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً . وَإِنْ هَمَّ بِفَعْلٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا ، كَتَبَهَا

اللَّهِ عنده عشر حسنات ، إلى سبعمائة ضعف ، إلى أضعاف كثيرة . وإن هَمَّ بسيئة فلم يعملها ، كتبها الله عنده حسنة كاملة . وإن هَمَّ بها فعلها ، كتبها الله سيئة واحدة » .

(البخاري ومسلم)

فأقل المضاعفات عشر ، إلى سبعمائة ، إلى أضعاف كثيرة :

﴿ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

(البقرة : 261)

هذا ومضاعفة الأجر تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأحوال ، وبحسب درجات الإخلاص فيها ، وبحسب موقعها من الله تعالى ، والله عليم حكيم .

مضاعفة الأجر باختلاف الزمان

في الحديث الشريف :

قيل لرسول الله ﷺ : أي الدعاء أسمع ؟ - أي أسرع
إجابة - قال : « جوف الليل الآخر ، ودبر الصلوات
المكتوبات » (الترمذي) ؛ يعني المفروضات .

« أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة » . (الطبراني والترمذي)
 في الحديث الشريف : « أفضل الصيام بعد رمضان :
 شهر الله المحرم . وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل » .
 (مسلم)

وكان ﷺ يصوم شعبان إلا قليلاً . (البخاري ومسلم)
 وفي الحديث الشريف أيضًا : ما من أيام العمل الصالح
 فيها أحب إلى الله من هذه الأيام - يعني أيام عشر ذي
 الحجة - قالوا : يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله ؟!
 قال : ولا الجهاد في سبيل الله ، إلا رجل خرج بنفسه وماله ،
 فلم يرجع من ذلك بشيء » . (البخاري)

« صوم يوم عرفة يكفر السنة الماضية والباقية » . (مسلم)
 « صيام يوم عاشوراء يكفر السنة الماضية » . (مسلم)
 « من صام رمضان ثم أتبعه ستًا من شوال كان كصيام
 الدهر » . (مسلم)
 « تُعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس ، فأحب أن

يُعرض عملي وأنا صائم » . (الترمذي)

« ومن تقرب في رمضان بخصلة - من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه . ومن أدى فريضة فيه ، كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه » . (ابن خزيمة)

وكان ﷺ أجود ما يكون في رمضان .

(البخاري ومسلم)

وكان ﷺ إذا دخل العشر - أي العشر الأواخر من رمضان - أحيا الليل ، وأيقظ أهله ، وشد المئزر .

(البخاري ومسلم)

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۚ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۚ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۚ ﴾ .

(القدر : 1 - 3)

« عمرة في رمضان تعدل حجة معي » . (البخاري ومسلم)

مضاعفة الأجر باختلاف المكان

في الحديث الشريف : « أحب البلاد إلى الله مساجدها ،

وأبغض البلاد إلى الله أسواقها . (مسلم)
 - « الأبعدُ فالأبعد من المسجد أعظم أجراً . »

(مسلم وأبو داود)

- « إذا مررتُم برياض الجنة فارتعوا . قيل : يا رسول الله ، وما رياض الجنة ؟ قال : المساجد . قيل : وما الرُّع يا رسول الله ؟ قال : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر . » (الترمذي)

- « لا تُشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدي هذا ، ومسجد الحرام ، ومسجد الأقصى . »

(البخاري ومسلم وغيرهما)

- « صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام . » (البخاري ومسلم)
 وزاد في رواية : « وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه . » (ابن ماجه)

- « الصلاة في مسجد قُباء كعمرة . »

(الترمذي والنسائي)

مضاعفة الأجر باختلاف الأحوال

- في الحديث الشريف : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فأكثرُوا الدعاء » . (مسلم)
- « ما من دعوة أسرع إجابةً من دعوة غائب لغائب » . (أبو داود والترمذي)
- « سبق درهم مائة ألف درهم : رجل له درهمان ، فأخذ أحدهما فتصدق به . ورجل له مال كثير فأخذ من عُرضه - أي من عامته - مائة ألف ، فتصدق بها » . (النسائي وغيره)
- وقيل لرسول الله ﷺ : « أي الصدقة أفضل ؟ قال : جهد المقلّ ، وابدأ بمن تعول » . (أبو داود وغيره)
- « ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله ، إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً » (البخاري ومسلم وغيرهما) أي سبعين سنة .
- « ذاكر الله في الغافلين ، كالمقاتل خلف الفارين . وذاكر الله في الغافلين ، كغصن أخضر في شجر يابس .

وذاكر الله في الغافلين ، مثل مصباح في بيت مظلم . وذاكر الله في الغافلين ، يُغْفَرُ له بعدد كل فصيح وأعجم .

(مالك بن أنس)

أي بعدد كل إنسان وحيوان .

- ويقاس على هذا المتقي بين الفاسقين ، والطائع بين

العاصين ، والقائم والناس نيام ...

والله تعالى وليّ التوفيق .

الجمع بين أعمال البر في يوم واحد

في الحديث الشريف : أن النبي ﷺ قال يوماً لأصحابه : « مَنْ أصبح منكم اليوم صائماً ؟ قال أبو بكر رضي الله عنه : أنا . قال : فمن تبع منكم اليوم جنازة ؟ قال أبو بكر : أنا : قال : فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً ؟ قال أبو بكر : أنا . قال : من عاد منكم اليوم مريضاً ؟ قال أبو بكر : أنا ؟ فقال رسول الله ﷺ : ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة » .

(مسلم)

من محاسن الأعمال

في الحديث الشريف : « غُرِضْتُ عليَّ أعمال أمتي حَسَنُهَا وسيئُهَا : فوجدت في محاسن أعمالها الأذى يماط - أي يُنحى - عن الطريق . ووجدت في مساوئ أعمالها الثُّخاعة تكون في المسجد لا تُدْفَن » . (مسلم)

لا ينبغي احتقار عمل وإن قلَّ

تتفاوت الأعمال الصالحة عند الله تعالى تفاوتًا عظيمًا . فمن أعلاها بعد الإيمان أداء الفرائض ، واجتناب المحارم . ومن أدناها : الكلمة الطيبة ، وإمالة الأذى عن الطريق . ففي الحديث الشريف : « اتق المحارم تكن أعبد الناس » . (الترمذي وغيره)

وقال بعض السلف : ترك ذرة مما حَرَّمَ الله ، خير من قناطر من العبادة .

ولا ينبغي للعبد أن يحتقر عملاً صالحاً وإن قلَّ ، وأن لا يتهاون بسئِّئ وإن قلَّ :

قال الله تعالى : ﴿ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ .

(النور : 15)

وفي الحديث الشريف : « إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يُلقي لها بالاً ، يرفعه الله بها درجات . وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله ، لا يُلقي لها بالاً ، يهوي بها في جهنم » . (البخاري وغيره)

« لا تحقرنّ من المعروف شيئاً ، ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق » . (مسلم)

« تبشّمك في وجه أخيك لك صدقة ، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة ، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة ، وإماطتك الأذى والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة ، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة » .

(الترمذي وغيره)

« اتقوا النار ولو بشق تمرة » (البخاري ومسلم) - أي نصفها - .

« لا تحقرنّ جارة لجارتها ولو فرسن شاة » .

(البخاري ومسلم)

لا ينبغي احتقار عمل وإن قلَّ ————— 115

الفرسن من البعير كالحافر من الدابة ، وربما استعير في الشاة .

أي لا تمتنع جارة من الصدقة والهدية لجارتها لاستقلالها واحتقارها ، بل ينبغي لها أن تجود بما تيسر لها وإن كان قليلاً كفرسن الشاة ، فهو من العدم . كيف وقد قال الله تعالى :

﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿ (الزلزلة : 7 ، 8)

فينبغي للمؤمن فعل ما استطاع من الصالحات والتمسك بالفرائض والسنن والآداب ، والبعد عن جميع السيئات : قال بعض السلف :

من استهان بأدب من آداب الشريعة ، عوقب بحرمان السنة ، ومن تهاون بترك السنة ، عوقب بترك الفرائض ، ثم يقيض الله له مبتدعاً يذكر عنده باطلاً ، فيوقع في قلبه شبهة .

وقال غيره : من قال : هذه سنة يمكن تركها ، يقال له

في الآخرة : هذه درجة في الجنة يمكن حرمانك منها .
وقد كان السلف الصالح رضي الله عنهم ، يتمسكون
بالسنن والآداب تمسكهم بالفرائض والواجبات ، ويجتنبون
المكروه اجتنابهم الحرام .

وهذا مسلك قويم ، وهدى كريم ، يؤكد أنه الحق الذي
ينبغي أن يتبع ما جاء في كتاب الله عز وجل ؛ فقد وصف
الله تعالى المؤمنين المفلحين فقال :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ① الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ②
وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ③ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ
فَاعِلُونَ ④ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ⑤ إِلَّا عَلَى
أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ⑥
فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ⑦ ⑧ وَالَّذِينَ هُمْ
لِأَمْوَالِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ⑨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ
يَحْفَظُونَ ⑩ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ⑪ الَّذِينَ يَرِثُونَ
الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ . (المؤمنون : 1 - 11)

(1) الذين جاوزوا الحلال إلى الحرام .

لا ينبغي احتقار عمل وإن قلَّ ————— 117

جمع الله تعالى في أوصاف المؤمنين الذين بشرهم بالفلاح ، بين العمل بالآداب : كالخشوع في الصلاة ، والإعراض عن لغو الكلام ... وبين القيام بالفرائض ، كإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ... والبعد عن الفواحش بحفظ الفروج ...

وقال تعالى : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ۝ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا ۝ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ۝ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ... ﴾ .

(الفرقان : 63 - 68)

أضاف الله تعالى هؤلاء العباد إلى اسمه الرحمن ؛ إشعارًا برضاه عنهم واستحقاقهم رحمته ، ووصفهم بأخلاق كريمة ، وآداب رفيعة : كالتواضع والإعراض عن الجاهلين ،

وقيام الليل ، والتوسط في الإنفاق ...
 كما وصفهم بتوحيده والبعد عن عظيم الجرائم
 والفواحش : كقتل النفس والزنى ...
 هذا وصف المؤمن الحق ، وهذا شأنه : يستجيب لأمر
 الله تعالى ونهيه ، وأمر الرسول ﷺ ونهيه ، في صغير الأمر
 وكبيره .

وأما تصنيف الأوامر الشرعية في مراتب ، ووصف
 بعضها بالفريضة ، وبعضها بالوجوب ، وبعضها بالسنية ...
 وتصنيف المناهي ، ووصف بعضها بالحرمة ، وبعضها
 بالكراهة ، وبعضها بخلاف الأولى ... فهو تصنيف فقهي
 علمي ، اجتهد فيه الأئمة المجتهدون رضي الله عنهم ،
 والأمر فيه يدور بين الرخصة والعزيمة ، ولكل منهما حال
 يحبه الله تعالى ، ويكره ضده ؛ تخفيفاً على عباده ، وهو
 الرءوف الرحيم .

ففي الحديث الشريف : « إن الله يحب أن تؤتى
 رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه » .

(البزار والطبراني وابن حبان)

من أفضل الأعمال

بين الأعمال الصالحة تفاوت وتفاضل ؛ من ذلك :

1 - الإيمان والجهاد والشهادة :

« جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا نبي الله أيّ العمل أفضل ؟ قال : إيمان بالله ، وتصديق به ، وجهاد في سبيله . قال : أريد أهون من ذلك . قال : السماحة والصبر . قال : أريد أهون من ذلك . قال : لا تتهم الله في شيء قضى لك به » . (أحمد)

وأتى الرجل النبي ﷺ ، فقال : أي الناس أفضل ؟ قال : « مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله . قال : ثم من ؟ قال : مؤمن في شعب من الشعاب يعبد الله ويدع الناس من شره » . (البخاري ومسلم)

الشُّعب : الطريق في الجبل .

« وسئل : رسول الله ﷺ : أيّ الأعمال أفضل ؟ قال : طول القيام - أي في الصلاة - قيل : فأيّ الصدقة أفضل ؟

قال : جُهِدُ الْمُقِلُّ . قيل : فأَيُّ الهجرة أفضل ؟ قال : من هجر ما حَرَّمَ اللَّهُ عليه . قيل : فأَيُّ الجهاد أفضل ؟ قال : من جاهد المشركين بماله ونفسه . قيل : فأَيُّ القتل أشرف ؟ قال : من أهرِيقَ دمه وعُقِرَ جواده . (أبو داود)

2 - الجهر بالحق :

في الحديث الشريف : « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » . (أحمد وغيره)

3 - الصلاة وبرّ الوالدين :

في الحديث الشريف : « أفضل الأعمال الصلاة لوقتها ، وبرّ الوالدين » . (مسلم)

وإنما خصهما بالذكر ؛ لأنهما عنوان على ما سواهما من الطاعات ، فمن حافظ عليهما ، فهو لما سواهما أحفظ ، ومن ضيَّعهما كان لما سواهما أضيع ؛ فمن أهمل الصلاة مع كونها عماد الدين ، فهو لغيرها أهمل . ومن لم يبرِّ والديه ، مع وفور حقهما عليه ، كان لغيرهما أقلّ برًّا .

4 - صلاة الليل :

في الحديث الشريف :

« أفضل الصلاة بعد المكتوبة - يعني المفروضة - الصلاة في جوف الليل ، وأفضل الصيام بعد شهر رمضان ، شهر الله المحرم » .
(مسلم)

5 - الصدقة :

في الحديث الشريف :

« أفضل الصدقة أن تصدّق وأنت صحيح شحيح ، تخشى الفقر وتأمل الغنى ، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم ، قلت : لفلان كذا ، ولفلان كذا ، ألا وقد كان لفلان » .
(البخاري ومسلم وغيرهما)

« أفضل الصدقة جهد المقل ، وابدأ بمن تعول » .

(أبو داود والحاكم)

وإنما كانت صدقة المقل أفضل ؛ لدالتها على عظيم الثقة بالله تعالى .

« أفضل الصدقة الصدقة على ذي الرحم الكاشح » .

(أحمد وغيره)

وهو الذي يضرر العداوة في باطنه ، ويطوي عليها كَشْحُه .

أو هو الذي يطوي عنك كَشْحُه ولا يَأْلُفُك .

والكَشْحُ : ما بين الخاصرة إلى الضِّلَع الخلف .

فالصدقة عليه أفضل ؛ لما في ذلك من قهر النفس للإذعان لمن يعاديها .

وفي ذلك تألّف له وصلة رحم .

6 - النفقة على العيال :

« أفضل دينار ينفقه الرجل : دينار ينفقه على عياله ، ودينار ينفقه على دابته في سبيل الله ، ودينار ينفقه على أصحابه في سبيل الله » . (مسلم والترمذي)

« دينار أنفقته في سبيل الله ، ودينار أنفقته في رقبة - أي في عتقها وتخليصها من الرق - ودينار تصدقت به على

مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك ؛ أعظمها أجرًا الذي أنفقته على أهلك » . (مسلم)

7 - الصيام :

« سئل رسول الله ﷺ : أي العمل أفضل ؟ فقال : عليك بالصوم ، فإنه لا عدل له » . (النسائي)

8 - الحج :

« سئل النبي ﷺ : أي العمل أفضل ؟ قال : إيمان بالله ورسوله . قيل : ثم ماذا ؟ قال : الجهاد في سبيل الله . قيل : ثم ماذا ؟ قال : حج مبرور » . (البخاري ومسلم)

المبرور : هو الذي لا يرتكب صاحبه فيه معصية .

قالوا : وعلامته أن يرجع الحاج خيرًا مما كان .

« عن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت : يا رسول الله نرى الجهاد أفضل الأعمال ، أفلا نجاهد ؟ قال : لكن أفضل الجهاد وأجمله حج مبرور ، ثم لزوم الحُصر . - أي لزوم البيوت - قالت : فلا أدع الحج بعد إذ سمعت هذا من

رسول الله ﷺ . (البخاري والنسائي)

« وسئل رسول الله ﷺ : أي الحج أفضل ؟ قال : العَجُّ والثَّجُّ » . (الترمذي)

العَجُّ : رفع الصوت بالتلبية .

والثَّجُّ : إراقة دماء الهدي والضحايا .

9 - ذكر الله تعالى :

« قال رجل : يا رسول الله ! إن أبواب الخير كثيرة ، ولا أستطيع القيام بكلها ، فأخبرني بشيء أتشبَّث به ، ولا تكثر عليّ فأنسى . قال : لا يزال لسانك رطباً بذكر الله تعالى » .

(الترمذي)

« وسئل ﷺ : أي العباد أفضل وأرفع درجة عند الله يوم القيامة ؟ قال : الذاكرون الله كثيراً . قيل : يا رسول الله ! ومن الغازي في سبيل الله ؟! قال : لو ضُرب بسيفه - في الكفار والمشركين - حتى ينكسر ويختضب دماً ، فإن الذاكر لله أفضل منه درجة » . (الترمذي)

« ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ،

وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم ، فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا : بلى . قال : ذكر الله تعالى .

(الترمذي)

« أفضل الذكر : لا إله إلا الله ؛ وأفضل الدعاء : الحمد لله » .

(الترمذي وغيره)

« أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة ، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي : لا إله إلا الله وحده لا شريك له » .

« أفضل العبادة الدعاء » . (رواه الحاكم)

« أفضل العباد درجة عند الله يوم القيامة : الذاكرون الله

كثيرا » (أحمد والترمذي)

أفضل الكلام : « سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر » (أحمد)

10 - طلب العلم :

« من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا ، سلك الله به طريقًا

من طرق الجنة . وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم . وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض ، والحيتان في جوف الماء . وإن فضل العالم على العابد ، كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب . وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهما ، ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر .

(أبو داود والترمذي)

« وذكر للنبي ﷺ رجلان : أحدهما عابد ، والآخر عالم .

فقال : فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم .

ثم قال : إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها والحيتان في البحر ليصلون على معلم الناس الخير . » (الترمذي)

« أفضل الصدقة أن يتعلم المرء المسلم علمًا ، ثم يعلم أخاه المسلم » (ابن ماجه)

11 - حسن الخلق :

« ما من شيء أثقل في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق » . (الترمذي)
« إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم » . (أبو داود)

« إن من أحبكم إليّ ، وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة ، أحاسنكم أخلاقاً » . (الترمذي)

12 - الحب في الله والبغض في الله :

« إن أوثق عُرا الإسلام ، أن تحب في الله وتبغض في الله » . (أحمد وغيره)
« أفضل الأعمال الحب في الله : والبغض في الله » . (أبو داود)

13 - التودد إلى الناس :

« أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله : التودد إلى الناس » . (الطبراني)

احتساب الأجر عند الله تعالى

احتساب الأجر عند الله تعالى معناه : طلب الأجر منه ،
فإن الله تعالى هو الذي يجزي الطائعين بطاعتهم ، والعاملين
بأعمالهم ، ويثيب الصابرين بصبرهم :

قال الله تعالى : ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ
فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ .

(البقرة : 112)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَأَتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا
هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ .

(البقرة : 277)

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ أُجُورَكُمْ
يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾ .

(آل عمران : 185)

﴿ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴾ .

(النحل : 96)

﴿ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

(الزمر : 10)

وفي الحديث الشريف : « من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا ، غُفر له ما تقدم من ذنبه . من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا ، غُفر له ما تقدم من ذنبه » .

(البخاري ومسلم)

« من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا ، غُفر له ما تقدم من ذنبه » .

(مسلم)

وأرسلت بنت النبي ﷺ ، إن ابني قد احتضر - أي حضره الموت - فاشهدنا . فأرسل يُقرئ السلام ويقول : « إن لله ما أخذ ، وله ما أعطى ، وكلُّ شيء عنده بأجل مسمى ، فلتصبر ولتحتسب »

(البخاري ومسلم)

وفي الحديث القدسي : « ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه - أي حبيبه - من أهل الدنيا ، ثم احتسبه إلا الجنة » .

(البخاري)

وقالت أم سليم لزوجها أبي طلحة رضي الله عنهما ، حين أخبرته بموت ولده وهي أمه : فاحتسب ابنك .

(البخاري ومسلم)

وفي الحديث الشريف : أن رسول الله ﷺ قال لنسوة من الأنصار : « لا يموت لإحداكن ثلاثة من الولد فتحسبه ، إلا دخلت الجنة . فقالت امرأة منهن : أو اثنان يا رسول الله ؟ قال : أو اثنان » . (مسلم)

وفي الحديث الشريف أيضًا : « إن المسلم إذا أنفق على أهله نفقة وهو يحتسبها ، كانت له صدقة » .

(البخاري ومسلم)

ولما بعث أبو بكر رضي الله عنه جيوشًا إلى الشام ، خرج يُشيعهم ، فمشى مع يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنه ، - وكان أمير رُبْع من تلك الأرباع - فقال يزيد لأبي بكر : إما أن تركب ، وإما أن أنزل . فقال له : ما أنت بنازل ، ولا أنا براكب ، إني أحتسب خُطاي في سبيل الله ...

(الطبراني)

« وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : قلت : يا رسول الله ، أخبرني عن الجهاد والغزو . فقال : يا عبد الله بن عمرو ، إن قاتلت صابرًا محتسبًا ، بعثك الله صابرًا محتسبًا » . (أبو داود)

فعلى المؤمن أن يَخْضَ أعماله لله تعالى ، ويخلص له فيها ، ويحتسب أجره عند الله عز وجل .

لا ينبغي الاعتماد على العمل

مهما وفق الله تعالى العبد إلى أعمال صالحة ، فإنها ليست بالغة به أن تؤهله إلى دخول الجنة ، التي عرضها السموات والأرض ، والتي هي دار الخلود في النعيم المقيم .

وإنما يُدخل الله تعالى عباده السعداء جنته برحمته ، وبحض فضله وإحسانه ، وجوده وكرمه ؛ ففي الحديث الشريف : « سَدُّوا وَقَارِبُوا وَأَبْشَرُوا ، فإنه لن يُدْخِلَ أَحَدًا الجنةَ عملُهُ . قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله برحمته » . (البخاري ومسلم)
والسداد : الاستقامة والقصد في الأمور ، والاعتدال فيها .

ومثله معنى قاربوا : أي اقتصدوا بدون غلو في الأمور .
وأما قوله تعالى في أهل الجنة : ﴿ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمْ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ . (الأعراف : 43)

فمعناه : بسبب أعمالكم نالتكم الرحمة ، فدخلتم الجنة ، وتبوأتم منازلكم بحسب أعمالكم .

ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى في أهل الجنة أيضًا :

﴿ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ ... ﴾ . (النساء : 70)

وقوله عز وجل : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ ... ﴾ .

(النساء : 175)

فالله تعالى يتفضل على عباده بثوابه ، إذ لو كان في مقابلة العمل ، لما كان فضلًا : فسبحان الله ما أرحمه وما أكرمه !

- وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، قال :

« خرج علينا رسول الله ﷺ ، فقال : خرج من عندي خليلي جبرئيل آنفًا فقال : يا محمد ! والذي بعثك بالحق ، إن لله عبدًا من عباده ، عَبَدَ الله خمسمائة سنة ، على رأس جبل في البحر ، عرضه وطوله ثلاثون ذراعًا في ثلاثين ذراعًا ، والبحر محيط به أربعة آلاف فرسخ من كل ناحية ،

وأخرج له عينًا عذبة بعرض الإصبع ، تَبِضُّ - أي تسيل قليلًا قليلًا - بماء عذب ، فيستنقع في أسفل الجبل ، وشجرة رمان ، تُخرج في كل ليلة رمانة ، يتعبّد يومه ، فإذا أمسى نزل ، فأصاب من الوضوء ، وأخذ تلك الرمانة ، فأكلها ، ثم عاد لصلاته . فسأل ربه عند وقت الأجل ، أن يقبضه ساجدًا ، وأن لا يجعل للأرض ولا لشيء يفسده عليه سبيلاً ، حتى يبعثه وهو ساجد . قال : ففعل ، فنحن نمر عليه إذا هبطنا وإذا عرجنا ، فنجد له في العلم أنه يُبعث يوم القيامة ، فيوقف بين يدي الله تعالى . فيقول له الرب : أدخلوا عبدي الجنة برحمتي . فيقول : ربّ بل بعملتي ! فيقول الله : قايسوا عبدي بنعمتي عليه وبعمله . فتوجد نعمة البصر قد أحاطت بعبادة خمسمائة سنة ، وبقيت نعمة الجسد فضلًا عليه . فيقول : أدخلوا عبدي النار . فيُجرّ إلى النار ، فينادي : رب برحمتك أدخلني الجنة . فيقول : رُدّوه . فيوقف بين يديه ، فيقول : يا عبدي ! من خلقتك ولم تك شيئًا ؟ فيقول : أنت يا رب ! فيقول : من قواك لعبادتي خمسمائة سنة ؟ فيقول : أنت يا رب . فيقول : من أنزلك

في وسط اللجة - أي البحر - وأخرج لك الماء العذب من الماء المالح ، وأخرج لك كل ليلة رمانة ، وإنما تخرج مرة في السنة ، وسألته أن يقبضك ساجدًا ففعل ؟ فيقول : أنت يارب ! قال : فذلك برحمتي ، وبرحمتي أدخلك الجنة . أدخلوا عبدي الجنة ، فنعَم العبد كنت يا عبدي . فأدخله الله الجنة . قال جبرئيل عليه السلام : إنما الأشياء برحمة الله يا محمد » (رواه الحاكم ، وقال الحافظ للمنزري : وهذا الحديث صحيح الإسناد) .

ومن كلام السلف رضي الله عنهم : لا تطلب عوضاً على عمل ، لست له فاعلاً . - أي إن الله تعالى هو الموفق إليه ، والخالق له - .

يكفيك من الجزاء على العمل أن كان له قابلاً .
إذا أراد أن يظهر فضله عليك ، خلق ونسب إليك .
- أي أيّذك بالتوفيق ، ونسب الأعمال إليك - .
لولا جميل ستره ، لم يكن عملٌ أهلاً للقبول .
أنت إلى حلمه إذا أطعته ، أحوج منك إلى حلمه إذا عصيته .

من علامات الاعتماد على العمل ، نقصان الرجاء عند وجود الزلل .

- فعلى العبد المؤمن أن يعمل ، ويجد في العمل ، ويخلص لله تعالى فيه ، معتمداً على رحمة الله تعالى ، طامعاً في عفوه وفضله وإحسانه .

جزء العمل الصالح في الآخرة

من عظيم فضل الله تعالى على عباده المؤمنين الصالحين ، أنه يعجل لهم المثوبة على أعمالهم الصالحة في الدنيا ، فيعطيه من المحاب ، ويدفع عنهم المكاه .

وما يخبؤه لهم في الآخرة من النعيم والثواب المقيم ، أجل وأعظم .

فقد أعد لهم في الجنة دار الخلود ، مالا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

قال الله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا

رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ . (البقرة : 25)

﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿٧٥﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴾ . (طه : 75 ، 76)

وقال تعالى في أهل الجنة بعد دخولهم الجنة :

﴿ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أَوْرِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ . (الأعراف : 43)

وفي الحديث الشريف : « إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة ، يُعطى بها في الدنيا ، ويُجزى به في الآخرة ، وأما الكافر ، فيقطع بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا ، حتى إذا أفضى إلى الآخرة ، لم تكن له حسنة يُجزى بها » . (مسلم)

نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ الْجَنَّةِ

قال الله تعالى في عباده الصالحين :

﴿ أُولَئِكَ جَزَاءُهم مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهم وَجَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ

تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعَمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ ﴿١٣٦﴾ .

(آل عمران : 136)

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ ﴾ .

(العنكبوت : 58)

وقال تعالى في أهل الجنة : ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدُهُ وَأَوْثَقَنَا الْأَرْضَ ^(١) نَبَوُّا مِّنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعَمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ ﴾ .

(الزمر : 74)

البشرى لمن يستمع فينتفع

يشرح الله تعالى قلوب السعداء للموعظة إذا سمعوها ، فينشطون للطاعات ، وينفرون من المخالفات ، ويكثر من الأعمال الصالحات . ومن شأنهم أنهم إذا مروا بآية رحمة ، استبشروا وسألوا الله تعالى الرحمة ، وإذا مروا بآية عذاب ، وجلت قلوبهم ، ودمعت عيونهم ، واستعاذوا بالله من السخط والعذاب .

(1) أي أرض الجنة .

وهؤلاء مبشرون بخير عظيم ، وأمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يبشّرهم ، فقال : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادَ ۖ ﴾ ④ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولَٰؤُنَا الْأَلْبَابِ ۚ . (الزمر : 18)

والتبشير : الإخبار بما يظهر أثره على البَشْرة - وهي ظاهر الجلد - لتغيّرها بأول خبر يرد عليك . ثم الغالب أن يُستعمل في السرور مقيداً بالخير المبشّر به ، وغير مقيّد أيضاً . ولا يستعمل في الغم والشر إلا مقيداً منصوفاً على الشر المبشّر به . كما سيأتي في وعيد من ذكر فلم يتذكّر ، قوله تعالى :

﴿ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ . (لقمان : 7)

وَعِيدٌ مِّنْ ذُّكْرِ فَلَمْ يَتَذَكَّرْ

وكما فتح الله تعالى مسامع السعداء للذكرى ، أصمّ أذان الأشقياء عن استماعها والانتفاع بها .

وكما وعد عباده المستمعين المنتفعين المثوبة وحسن الجزاء ، أوعد المعرضين بالويل والعذاب :

قال الله تعالى في معرض الذم : ﴿ وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنِهِ قُورًا ⁽¹⁾ ۚ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ ﴾ .
(لقمان : 7)

النجاة في النهي عن السوء

لابد للمؤمنين الصالحين ، من نهى المسيئين عن السوء ، وأمرهم إياهم بالمعروف ونهيههم عن المنكر ، ففي ذلك نجاة الصالحين ، وبقاء الدين وقيام صرحه المتين .

قال الله تعالى في بني إسرائيل :
﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ ⁽²⁾ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۝ ﴾ .
(الأعراف : 165)

وفي الحديث الشريف : « مثل القائم في حدود الله والواقع فيها ، كمثل قوم استهموا - أي اقترعوا - على سفينة فصار بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها . وكان الذين في أسفلها ، إذا استقوا من الماء ، مَرَّوْا عَلَىٰ مِنْ فَوْقِهِمْ . فقالوا :

(1) أي صمًا . (2) أي شديد .

لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ، ولم نؤذ من فوقنا . فإن تركوهم وما أرادوا ، هلكوا جميعًا . وإن أخذوا على أيديهم - أي منعوهم - نجوا ونجوا جميعًا » . (البخاري)
والقائم في حدود الله : معناه المنكر لها ، القائم في دفعها وإزالتها .

والمراد بالحدود : ما نهى الله تعالى عنه .
« وقيل : يا رسول الله ، أنهلك وفيما الصالحون ؟ قال : نعم ، إذا كثرت الخبث » (البخاري ومسلم) - يعني الفسق والفجور - « والذي نفسي بيده ، لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا منه ، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم » . (الترمذي)
وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسُكُمْ ⁽¹⁾ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ ﴾ (المائدة : 105) . وإنني سمعت

(1) أي الزموها .

رسول الله ﷺ يقول : « إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه - أي لم يمنعوه - أوشك أن يعصمهم الله بعقاب منه » .
(أبو داود وغيره)

وروي أن الله تعالى أوحى إلى يوشع بن نون عليه السلام :
« إني مهلك من قومك أربعين ألفاً من خيارهم ، وستين ألفاً من شرارهم . قال : يا رب ، هؤلاء الأشرار ، فما بال الأخيار ؟! قال : إنهم لم يغضبوا لغضبي ، وكانوا يؤاكلونهم ويشاربونهم » .
(ابن أبي الدنيا)

إعلان البراءة من عمل المفسدين

أقل ما يستطيعه الصالحون ، إذا أمروا بالخير ونهوا عن الفساد والشر فلم يطاعوا ، أن يعلنوا براءتهم من عمل المفسدين :
- قال الله تعالى على لسان داود عليه الصلاة والسلام مخاطباً قومه :

﴿ قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ .

(هود : 54)

- ﴿ وَإِذْ قَالَ لِأَبْنِهِمْ لِأَيِّهِمْ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا

تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ . (الزخرف : 26)

- وقال تعالى في إبراهيم عليه السلام وأبيه :

﴿ فَلَمَّا بَيْنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ... ﴾ .

(التوبة : 114)

- وقال تعالى مخاطبًا نبينا محمدًا ﷺ :

﴿ قُلِ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَبَيْتُكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ .

(الأنعام : 19)

- وقد أعلن الله تعالى براءته وبراءة رسوله ﷺ من المشركين فقال : ﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ . (التوبة : 1)

﴿ وَأَذِّنْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ... ﴾ . (التوبة : 3)

- وقال تعالى لنبينا محمد ﷺ : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ

الْأَقْرَبِينَ ۖ وَالْخَفِضُ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝

فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤٠﴾ .

(الشعراء : 214 - 216)

- وقال تعالى في شأن قومه :

﴿ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٌ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيءُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ . (يونس : 41)

عمل الكافر مردود عليه

لا عمل إلا من بعد إيمان ؛ فالإيمان أساس قبول الأعمال ،
وعمل الكافر مردود عليه ؛ قال الله تعالى في الكافرين :
﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا
صِرٌّ⁽¹⁾ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ... ﴾ .

(آل عمران : 117)

وقال تعالى في المنافقين : ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ
نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنْهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ... ﴾ .

(التوبة : 54)

(1) أي برد شديد أو نار محرقة .

وقال تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ .. ﴾ . (إبراهيم : 18)

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ ⁽¹⁾ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَقًّا إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَقَّعَهُ حِسَابُهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ ⁽²⁾ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكَدُهُ لَمْ يَكُنْ يَرَاهَا وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾ . (النور : 39 ، 40)

﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ .

(الفرقان : 23)

وقال تعالى يحذر المؤمنون من عمل الكافرين والمرائين ،
ويصف عملهم بالضياع :

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَتَكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَأَلَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

(1) أي في منبسط من الأرض . (2) أي عميق كثير الماء .

فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ ⁽¹⁾ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابُهُ وَابِلٌ ⁽²⁾ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ⁽³⁾ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ .
(البقرة : 264)

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت : يا رسول الله ، ابن جُذَعان كان في الجاهلية يصل الرحم ، ويطعم المسكين ، فهل ذلك نافعه ؟ قال : لا ينفعه ، إنه لم يقل يومًا : « رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين » . (مسلم)
أي لم يكن يؤمن بالله ولا باليوم الآخر .

شهادة الأرض والأعضاء على الإنسان بعمله

من مشاهد القيامة الرهيبة ، أن من أنكر ما كان عليه من كفر أو معصية ، شهدت عليه أعضاؤه ، وشهدت عليه الأرض التي عصى الله عليها ؛ قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .
(النور : 24)

(2) أي مطر شديد .

(1) أي حجر أملس .

(3) أي أجرًا نقيًا .

﴿ أَلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ . (يس : 65)

﴿ وَقَالُوا لِمَ جُلِدْنَا لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ .

(فصلت : 21 ، 22)

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَنْفَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُخَدِّثُ أَخْبَارَهَا ... ﴾ . (الزلزلة : 1 - 4)

أي تحدث بما عمل العاملون على ظهرها .

وفي الحديث الشريف : أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُخَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ (الزلزلة : 4) . ثم قال : « أتدرون ما أخبارها ؟ . قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها ، أن تقول : عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا ، فهذه أخبارها » . (أحمد وغيره)

ندامة المسيء

لا شك أن المسيء حينما يرى يوم القيامة مثوبة المؤمنين العاملين ، الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، ويرى عقوبة الكافرين والعاصين الذين عملوا السيئات ، تعظم ندامته على ما فرط في جنب الله ، وعلى ما كان منه من معصية الله ، ويوء بحسرة تكاد تقطع فؤاده . وشر الندامة يوم القيامة :

قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ... ﴾ . (آل عمران : 30)

﴿ وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ ﴿ يَتَوَلَّى لَيَتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا ﴾ ﴿ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴾ . (الفرقان : 27 ، 29)

وقال تعالى ناصحاً عباده في قوله : ﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَى مَا

فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ
لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ
تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ .

(الزمر : 55 - 58)

وقال تعالى : ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِقَوْلِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا
جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْشَرُنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا ﴾ .

(الأنعام : 31)

تمني المسيء الرجعة إلى الدنيا ليحسن

فإذا اشتدت ندامة المسيء ، تمنى أن يرجع إلى الدنيا ،
ليؤمن بالله تعالى ، وباليوم الآخر ، ويعمل صالحاً :

قال الله تعالى في وصف المجرمين : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ
أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا
تَرَكْتُ ... ﴾ . (المؤمنون : 99 ، 100)

﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ
رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ .

(السجدة : 12)

﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَحْبِ دَعْوَتِكَ وَتَتَّبِعِ الرَّسُولَ...﴾ .

(إبراهيم : 44)

﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ .

(المنافقون : 10)

وقال تعالى في وصف مشهد من مشاهد القيامة ، يقول فيه الكافرون :

﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ...﴾ .

(الأعراف : 53)

﴿وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ فِيهَا⁽¹⁾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ...﴾ .

(فاطر : 37)

* * *

(1) أي في النار .

نداء

فيها أيها المسلمون ! تحققوا بالعبودية لله تعالى : أطيعوا أمره ، واجتنبوا نهيه . راقبوا الله تعالى ، واعلموا أن عليكم حافظين ، كرامًا كاتبين يعلمون ما تفعلون .

بادروا إلى الأعمال الصالحة ، وأخلصوا فيها لله عز وجل . اغتنموا الأعمار ، وتزودوا من الدنيا بالتقوى والعمل الصالح . كونوا من المحسنين ، واقطفوا ثمرات إحسانكم في الدنيا والآخرة .

كونوا دعاةً إلى العمل الصالح ، وقدوة صالحة للعاملين . أتبعوا السيئة الحسنة ، وأقبلوا على الله تعالى بصادق التوبة وصحيح الإنابة .

احرصوا على فضائل الأعمال التي تبليغكم رضا الله تعالى ومثوبته .

والله تعالى ولي التوفيق .

دعاء

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ
وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي
عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ . (النمل : 19)

وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم .
والحمد لله رب العالمين .

* * *

المحتوى

الصفحة	الموضوع
3	التعريف بالمؤلف
7	مقدمة
13	العمل الصالح
13	تمهيد
16	الأمر بالطاعة والحضُّ عليها
18	التحذير من المعصية
18	طاعة الرسول من طاعة الله
19	شعار المؤمن الطاعة
21	المطيع يستحق الرحمة
22	النفس أمارة بالسوء
24	الشیطان يأمر بالسوء
27	التحذير من طاعة أهل الضلال
28	الحسن ما استحسنته الشرع
30	الاعتصام بالكتاب والسنة
36	الأمر بالإحسان ، والحض عليه

- 37 من ثمرات الإحسان
- 37 1 - معية الله تعالى
- 38 2 - محبة الله تعالى
- 38 3 - رحمة الله تعالى
- 39 4 - هداية الله تعالى
- 40 5 - البشرى الصالحة
- 40 6 - حسن المثوبة
- 41 شتان بين محسن ومسيء
- 42 الله لا يضيع أجر المؤمنين المحسنين
- 44 إنما الأعمال بالنيات
- 46 الأمر بالمبادرة بالأعمال
- 47 كثرة طرق الخير
- 50 الاقتصاد في الطاعة
- 57 المحافظة على الأعمال
- 59 مما يعين على العمل الصالح
- 61 الدلالة على العمل الصالح
- 62 قبول العمل

63	 من علامات القبول
64	 الإخلاص في العمل
65	 تحبوط العمل
68	جزاء العمل الصالح في الدنيا
68	1 - حسن رعاية الله تعالى
68	2 - المودة في قلوب المؤمنين
69	3 - التمكين في الأرض
70	4 - حسن الذكر
70	5 - تفريج الكرب
73	الجزاء من جنس العمل
75	جزاء الحسنات الحسنی
75	1 - في الهداية
75	2 - في الذكر
76	3 - في التماس رضا الله تعالى
77	4 - في الصدق مع الله تعالى
78	5 - في الحب في الله تعالى
78	6 - في الحفظ وحسن الرعاية

- 7 - في النصر 79
- 8 - في العفو 80
- 9 - في الرحمة 81
- 10 - في الإنفاق 82
- 11 - في الرضا بالقضاء 83
- 12 - في العمل 83
- 13 - في الاستغفار والاستغناء والتبصّر 84
- 14 - في الرد عن عرض المؤمن 84
- 15 - اصطناع المعروف 85
- جزاء السيئات السوء 87
- 1 - في الزيف والضلال 87
- 2 - في نسيان الله تعالى 88
- 3 - في الاستهزاء والسخرية والضحك والمخادعة والمكر .. 89
- 4 - في الرغبة في الدنيا 91
- 5 - في أكل أموال اليتامى ظلماً 92
- 6 - في الرياء 92
- 7 - في شرب الخمر 92

93	العمل محصى على فاعله ومسئول عنه
95	الوقاية من السيئات فوز
95	الحسنات يذهبن السيئات
96	تكفير السيئات
99	دفع السيئة بالحسنة
100	من أحسن فلنفسه
100	العمل الذي لا ينقطع
102	الأجر الذي لا ينقطع
103	الأجر الحسن
104	الأجر الكبير
104	الأجر الكريم
105	الرزق الكريم
105	الأجر العظيم
106	مضاعفة الأجر
107	مضاعفة الأجر باختلاف الزمان
109	مضاعفة الأجر باختلاف المكان
111	مضاعفة الأجر باختلاف الأحوال

- 112 الجمع بين أعمال البر في يوم واحد
- 113 من محاسن الأعمال
- 113 لا ينبغي احتقار عمل وإن قلّ
- 119 من أفضل الأعمال :
- 119 1 - الإيمان والجهاد والشهادة
- 120 2 - الجهر بالحق
- 120 3 - الصلاة وبر الوالدين
- 121 4 - صلاة الليل
- 121 5 - الصدقة
- 122 6 - النفقة على العيال
- 123 7 - الصيام
- 123 8 - الحج
- 124 9 - ذكر الله تعالى
- 125 10 - طلب العلم
- 127 11 - حسن الخلق
- 127 12 - الحب في الله
- 127 13 - التودد إلى الناس

159	المحتوى
128	احتساب الأجر عند الله تعالى
131	لا ينبغي الاعتماد على العمل
135	جزاء العمل الصالح في الآخرة
136	نعم أجر العاملين الجنة
137	البشرى لمن يستمع فينتفع
138	وعيد من ذكر فلم يتذكر
139	النجاة في النهي عن سوء
141	إعلان البراءة من عمل المفسدين
143	عمل الكافر مردود عليه
145	شهادة الأرض والأعضاء على الإنسان بعمله
147	ندامة المسيء
148	تمني المسيء الرجعة إلى الدنيا ليحسن
151	نداء !
152	دعاء !
153	الفهرس

هذا الكتاب

لقد سعد سلف هذه الأمة ، بما هُذُوا إليه من العمل الصالح ، وسعد بهم العالم أجمع ، حين انتشروا فيه انتشار العافية في الجسد المريض .

ويحدثنا التاريخ : أنهم عبّاد بالليل ، فرسان بالنهار ، لم يتركوا ميدان سبق إلا استبقوا إليه ، ولا مجال خير إلا أسرعوا إليه ...

ثم خلف من بعدهم خلف ، أدخلوا إلى الدنيا ، واسترسلوا في الشهوات ، وغلبت عليهم المادية الطاغية ، وأخذوا يتلمسون طريق النجاة ، تلمس الحائر الضال ، وراء الأمم المادية التائهة ... فلم يجدوه .. حسبوه في تقليد أجنبي أعمى ، ومظاهر براقة خداعة ، فذلوا بعد عز ، وضعفوا بعد قوة ، وشقوا بعد سعد وهناءة .

ولا سبيل إلى النجاة ، إلا بالعودة إلى دين الله الحق ، والاهتداء بشرعة الحق ، والعمل الصالح الذي دعا إليه .